# مكتبة الأسرة الروائع

ـمل ماكتب
ـاعر الجندول

# علي محمود طه



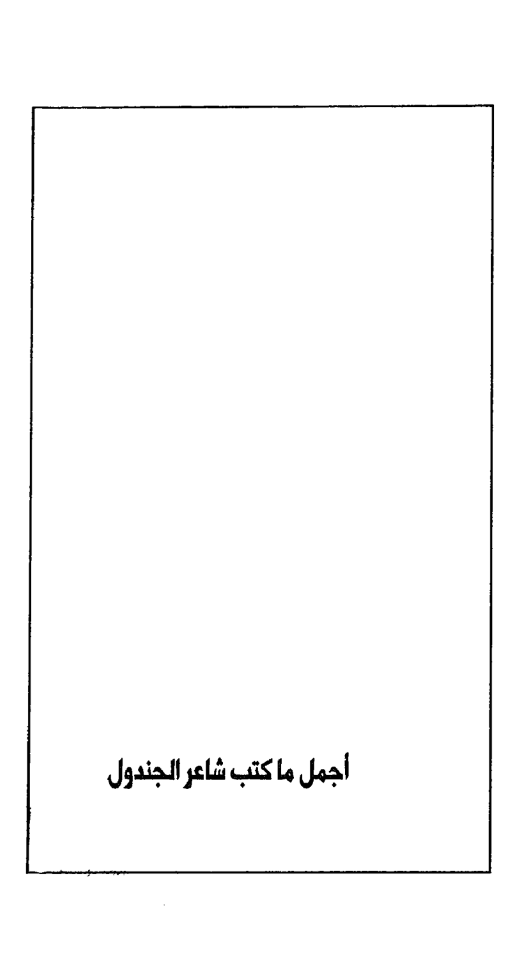


الهيئة المصرية
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ عبد العليم القبانى

الإسكندرية



أجمل ما كتب شاعر الجندول




# مهرجان القراءة للجميع ٩٦

## مكتبة الأسرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

## (روائع الأدب العربى)

أجمل ما كتب شاعر الجندول
على محمود طه

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

# أجمل ما كتب شاعر

# الجندول

## على محمود طه


اختيار وتقديم

د. سمير سرحان د. محمد عنانى

# على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

**د. سمير سرحان**

# تقديـــــم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يألف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولمن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتّاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، ولُد عنده - كما يقول شوقى ضيف **(الأدب العربى المعاصر فى مصر)** «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وآثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق – وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثالاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التى تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى **حديث الأربعاء** فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيأ له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأفى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٧/١١/١٩٤٩) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التى تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم فى صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التى شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلىّ حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حدّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتى تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدّ فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (**حديث الأربعاء** – ص ١٤٦) – وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأوّل وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقى مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر - انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقى ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم المأثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة - كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الأدب** (ص٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة - التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداء من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (**قضايا جديدة فى الأدب الحديث**) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

**د. سمير سرحان**

**د. محمد عنانى**

## ١ - فلسطين

أخى ، جـــاوزَ الظّالمونَ المَدَى

فــحقٌ الجــهــادُ ، وحَقّ الفِدا

أنتــركــهُمْ يَغــصــبـونَ العُروبةَ

مــــجــدَ الأبوّةِ والســــؤددا ؟

وليسـوا بِغَيْرِ صليلِ السيـوفِ

يُجيبـونَ صـوتاً لنا أو صـدى

فــجــرِّدْ حــســامَكَ من غــمــدِهِ

فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغــمــدا

* * *

أخى ، أيُّهـــا العــــربىُّ الأبىُّ

أرى اليـومَ مــوعــدَنَا لا الغَدا

أخى ، أقــبلَ الشــرقُ فى أمّةٍ

تردُّ الضّلالَ وتُحــــيى الهُدى

أخى ، إنّ فى القدسِ أختاً لنا

أعَدَّ لهــــا الذابحــــونَ المُدى

صــبــرنا على غَدْرِهِمْ قــادرينَ

وكـنـا لَهُمْ قَدَراً مُرصـــــــــدا

طَلَعْنا عليــــهمْ طلوعَ المنونِ

فطاروا هَبـاءً ، وصــاروا سُدى

أخى ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ

لنحمى الكنيسةَ والمسجدا

أخى ، قُمْ إليها نشقُّ الغمارَ

دماً قانياً ولظى مرعدا

أخى ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ

فأوردْ شبَاها الدمَ المُصْعدا

أخى ، إن جَرَى فى ثراها دمى

وشبَّ الضرامُ بها موقدا

ففتِّشْ على مهجةٍ حُرَّة

أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العِدا

وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ

جلاها الوَغَى ، ونماها النَّدى

وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها

دعا باسمِها اللهَ واستشهدا

فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ

وجلَّ الفدائى والمُفتدى

فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ

فإمَّا الحياة وإمَّا الرَّدى

## ٢ - مصر

هَوىً لكِ فيهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ
فَديتُكِ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟
فديتُكِ مصرُ ، كلُّ فتىً مشوقٌ
إليكِ ، وكلُّ شيخ فيكِ صَبُّ
ويحلمُ بالفِدَى طفلٌ فطيمٌ
وكلُّ رضيعةٍ فى المَهْدِ تحبُو
أراكِ و أينما ولَّيتُ وجهى
أرى مُهَجاً لوجهكِ تَشْرئبُّ
وأرواحاً عليكِ محوِّمات
لها فوقَ الضِّفافِ خُطىً ووثْبُ
عليها من دَمِ الغادينَ غارٌ
له بيديكِ تضفيرٌ وعَصْبُ
حَمَتْكِ صدورُها يومَ التَّنادى
ووقَّتْكِ الليالىَ وهىَ حَرْبُ
إذا رامتكِ عاديةٌ وشقَّتْ
فضاءَكِ غيلةً ورماكِ خَطْبُ
دَعَتْ بالنَّهرِ فَهُوَ لَظىً ووقْدٌ
وبالنَّسمات فهى حصىً وَحصْبُ

وبالشجرِ المنوَّرِ فهو غيلٌ
وكلُّ غُصونِهِ ظُفرٌ وخِلْبُ
حقائقُ عن يدِ الإيمانِ ترمى
صواعقَ وَمْضُها رُجْمٌ وشُهْبُ
لها فى مهجةِ الجبَّارِ فَتكٌ
وفى عينيهِ إيماضٌ وسكْبُ
صَنائعُ كالغنائيَّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويُلْقِى السمعَ غَرْبُ

✍ ✍ ✍

# ٣ - أغنية الجندول

## فى كَرنڤال ڤينيسيَا

أين منْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

أينَ عُشَّاقُكِ سُمَّارُ الليــالى

أين من واديكِ ، يا مهدَ الجمالِ

موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنڤالِ

وسُرَى الجُندولِ فى عَرْضِ القنالِ

بين كأسٍ يتشهَّى الكرمُ خمرَهْ

وحبيبٍ يتمنَّى الكأسُ ثغرَهْ

إلتقتْ عينى به أوَّلَ مرَّهْ

فعرفتُ الحبَّ من أوَّلِ نظرَهْ

أينَ من عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

مرَّ بى مُستضحِكاً فى قُرْبِ سَاقى

يَمزُجُ الراحَ بأقداحٍ رِقاقِ

قد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفاقِ

فنظرنا ، وابتسمنا للتَّلاقى

وهو يَستــتهـدِى على المَفْرقِ زهرَهْ

ويُســـــــــوِّى بِيَدِ الـفِتْنَة شَعْرَهْ

حــين مـــسَّتْ شَفَتى أوَّلُ قطرَهْ

خِلْتُهُ ذوَّبَ فـى كــــاسـى عِطْرَهْ

أينَ منْ عــينىَّ هاتيكَ المجـالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانى :

هاجتِ الذكرى ، فـأينَ الهَرَمـانِ ؟

أين وادى السِّحرِ صدَّاحَ المغانى ؟

أينَ مــاءُ النيل ؟ أين الضَّفَّتَان ؟

آه ، لو كنتَ مـعى نخـتـالُ عَبْرَهْ

بشــراعٍ تَســبحُ الأنجمُ إثْرَهْ

حــيث يَروى الموجُ فى أرخمِ نَبْرَهْ

حُلْمَ ليلٍ من ليـالى كليـوبتــرَهْ

أينَ منْ عــينىَّ هاتيكَ المجـالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

أيهـا الملاحُ ، قِفْ بينَ الجسـورِ

فــتنةِ الدنيـا ، وأحــلامِ الدهورِ

صـــــفَّقَ الموجُ لـولدانٍ وحــــورِ

يُغــرقــونَ اللَّيْلَ فى يَنبــوعِ نورِ

مــــا ترى الأغْيَدَ وضَّاءَ الأسرَّهْ ؟

دقَّ بـالسَّاقِ وقــــــد أسْلَمَ صَدْرَهْ

لِمُحبٍّ لفَّ بالســــاعدِ خَصْرَهْ ؟

ليتَ هذا الليلَ لا يُطْلِعُ فــجــرَهْ !

أينَ منْ عــــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

رَقَصَ الجُندولُ كـــالنَّجْمِ الوضىِّ

فاشْدُ ، يا ملاحُ ، بالصوتِ الشجىِّ

وتَرَنَّمْ بـالـنشـــــيــــــدِ الوثَنىِّ

هذهِ الليلةُ حُلْمُ العَبــــقــــرىِّ

شـاعتِ الفرحـةُ فـيـهـا والمَسـرَّهْ

وجَلا الحُبُّ عــلــى الـعُشَّاق سِرَّهْ

يَمْنةً مِلْ بـى ، عـلـى الماءِ ، ويَسْرَهْ

إنَّ لـلـجـندولِ تحتَ الـليـلِ سِحْرَهْ

أينَ ، يـا ڤينيسيا ، تلك المجـالى ؟

أينَ عُشــــاقُكِ سُمَّارُ الليـــالى ؟

أينَ من عـينىَّ أطيـافُ الجــمــالِ ؟
مَوْكبُ الغْيدِ وعـيدُ الكرنڤـالِ ؟
يا عروسَ البحر ، يا حلْمَ الخَيالِ !!

✍ ✍ ✍

## ٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أىُّ حلْمٍ من لَياليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فغنَّى ، وتغَنَّى الشاطئانِ
وَهفَا كلُّ فؤادٍ ، وشدَا كلُّ لسانِ :
هذهِ فاتنةُ الدُّنْيا وحسناءُ الزَّمانِ

بُعِثَتْ فى زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ من كلِّ فنٍّ
مَرِحِ المجدافِ يختالُ بحوراءَ تُغنِّى

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عُشَّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثَارا
حلوةٌ صافيةُ اللَّحْنِ كأحْلامِ العذارَى

حُلْمُ عَذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءِ
فتَغَنَّتْ بشراعٍ من خَيالِ الشعراءِ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

وتَجَلّىً الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتَهادَاهُ على الموجِ نَواتيٌّ عبيدُ
المجاديفُ بأيديهمْ ، هتافٌ ، ونشيدُ
ومُصَلُّونَ لَهُمْ فى النهرِ محرابٌ عتيدُ

سَحَرَتْهم رَوْعَةُ اللّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدٌ
كلُّهمْ رَبٌّ يُغَنّى وإلهٌ يَستعيدُ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

إصدَحى ، أيتها الأرواحُ ، باللَّحْنِ البديعِ
إمرَحى ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالموْجِ الخليعِ
قَبِّلى ، تحتَ شراعى ، حُلمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيلِ فى ليلِ الرَّبيعِ

رنَّحَتْهُ موجةٌ تَلعبُ فى ضوءِ النُّجومِ
وتنادى بشعاعٍ راقصٍ فوقَ الغيومِ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

ليلُنا خمرٌ وأشواقٌ تُغَنِّى حولنا
وشراعٌ سابحٌ فى النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنا

كانَ فى اللَّيْلِ سُكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا
لَيْتَهُمْ قد عَرَفوا الحبَّ فباتوا مثْلَنَا

كلَّما غرَّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحناً
يا حبيبى ، كلُّ ما فى اللَّيلِ روحٌ يتغنَّى

هاتِ كـــأسى ، إنهـــا ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قَلْبى !

يا ضِفافَ النيلِ باللهِ ويا خُضْرَ الروابى
هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ فى النُّورِ المُذابِ
سابحاً فى زورقٍ من صُنْعِ أحلامِ الشبابِ ؟

إنْ يكُنْ مَرَّ وَحَيَّا من بعيدٍ أو قريبِ
فَصِفيهِ ، وأعيدى وصْفَهُ ، فهو حبيبى!

يا حَبـــيـــبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قَلْبى !

أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى
يا ابنةَ النَّهرِ الذى غَنَّاهُ أربابُ الخيالِ
وتمنَّتْ فيهِ لو تسبحُ ربَّاتُ الجمالِ
موجهُ الشادى عشيقُ النُّور ، معبودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَروِى ، وتُصـغى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضْر سَكرى ، والسَّنى كأسٌ تدورُ
حُــلُــمٌ لــم تـروْهِ لـيـلـةُ حُبٍّ
فـاذكـريه ، واسـمعى أفـراحَ قلبى !

✍ ✍ ✍

## ٥ - العام الهجرى الجديد

غَنِّ بالهجرة : عاماً بعدَ عامِ

وادْعُ للحقِّ ، وبشِّرْ بالسَّلامِ

وترسَّلْ ، يا قصيدى ، نَغَماً

وتنقَّلْ بين مَوْجٍ و غمامِ

صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما

فى نواحى الأرضِ من بَغْيٍ و ذامِ

كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى

مُهَجٍ كلْمَى ، وأكبادٍ دَوامى

هَجَرَتْ أوطانَهَا واغتربتْ

فى مثالىٍّ من المبدإ سامِ

انِفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى

وأبَتْ ذُلَّ الضَّميرِ المسْتضامِ

يا دُعاةَ الحقِّ : هذى محنةٌ

تُشْعِلُ الرُّوحَ بمشبوبِ الضرامِ

هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمامِ

وصراعُ الخيرِ ، والشَّرِّ العُقامِ

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهَدَى
بيراعٍ ، وتحدَّى بحسام
هجرةٌ كانت إلى اللهِ ، وفى
خطوِهَا : مولدُ أحْداثٍ جِسامِ
أخطأ الشيطانُ مَسْرَاها ، فيا
ضَلَّةَ الشيطانِ فى تلك المَوامى !
آبَ بالخَيْبَةِ من غايتهِ
وهو فوقَ الأرضِ ملعونُ المقامِ
صفحاتٌ من صراعٍ خالدٍ
ضُمِّنَتْ كلَّ فخارٍ ووسامِ
لم تُتَحْ يوماً لجبَّارٍ طَغَى
أو لباغٍ فاتكِ السيْفِ عُرامِ
بل لدَاعٍ أعزلٍ فى قومِهِ
مستباحِ الدَّمِ مهدورِ الذِّمامِ
زلزلَ العالمَ من أقطارِهِ
بِقُوَى الرُّوحِ على القَوْمِ الطُّغامِ
وبَنَى أوَّلَ دنيا حُرَّةٍ
بَرِئتَ من كلِّ ظلمٍ وأثامِ

تَسَعُ النـاسَ علـى ألـوانـهـم

لم تفـرِّقْ بين آريٍّ وســامى

* * *

حــاطِمَ الأصنـامِ : هَلْ منكَ يَدٌ

تَذَرُ الظلمَ صـديعـاً من حُطامِ ؟

لم تُطِقْهـا حـجَراً أو خَشَبـاً

ويُطاق اليـومَ أصنـامُ الأنامِ !!

وعــجـيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ

أبْصَرَ الأعـمى به والمتَعـامى !

وتُرجى عـودةَ المجـدِ الذى

أعجـزَ البَانى ، وأعيَا المتسـامى

من بيـوتٍ هاشـمـيَّاتِ البنَى

وعُروشٍ أمـويَّاتِ الدعـامِ

ونتـاجٍ من نُهىً جـبَّارةٍ

وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضـخـامِ

قلْ لها ، يا عامُ : لا هُنْتِ ، ولا

كنتِ إلا مـهـدَ أحـرارٍ كـرامِ

ذاكَ مـجـدٌ لم ينَلْهُ أهلُه

بالتـمنِّى ، والتـغنِّى ، والكلامِ

بل بآلامٍ ، وصبْرٍ وضنىً

ودموعٍ ، ودمٍ حُرٍّ سجامِ

قُلْ لها : إنّ الرّحى دائرةٌ

والليالى بَيْنَ كرٍّ وصدامِ

فاستعدى لغدٍ إنّ غداً

نُهْزَةُ السبَّاقِ فى هذا الزحامِ !

واجمعى أمركِ لليَوْمِ الذى

يَحْمِلِ البُشْرَى لعُشّاق السلامِ !

✍ ✍ ✍

## ٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليتَ شـعـرى أهكذا نحنُ نمضى

فى عُبـاب إلى شـواطئَ غُمْضِ

ونخـوضُ الزمـانَ فى جُنْحِ ليلٍ

أبدىٍّ ، يُضنى النفـوسَ ويُنضى

وضفـافُ الحياةِ ترمقُها العيـ

ـنُ فـبـعضٌ يمـرُّ فى إثرِ بعضِ

دون أنْ نملكَ الرجـوعَ إلى مـا

فـاتَ منها ، ولا الرسوَّ بأرضِ ! ؟

* * *

حَدِّثى القلبَ ، يا بحـيـرةُ ، مـالى

لا أرى « أولڤـيرَ » فوقَ ضفافِكْ

أوْشكَ العـامُ أن يمـرَّ ، وهذا

مـوعـدٌ للقـاءِ فى مُصطافِكْ

صـخـرةَ العـهدِ ! ويكِ ، هأنذا عُدْ

تُ ، فـمـاذا لديكِ عن أضيـافِكْ ؟

عدتُ وحدى أرعَى الضفافَ بعينٍ

سفكتْ دمعَها الليالى السوافِكْ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـــ

ــتِ هديراً يهـــزُّ قلبُ السكونِ

وضــفــافٍ أمــواجُهَا يتــداعــ

ــين على هذهِ الصخورِ الجونِ

والنســـــيمُ العليلُ يدفعُ وَهْنًا

زَبَدَ الموجِ لـلرُّبى والحـــــزونِ

ملقــيــاً رغــوَها على قَدَمَيْهــا

ليِّنَ المسِّ مـــســـتـــحبَّ الأنينِ

* * *

أتُرى تذكـــــــرينَ ليلةَ كنا

منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ

وســـرى زورقٌ بنا يتـــهـــادى

تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟

فى سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوق المـــ

ـــوجِ إلا أغـــانىَ المجـــدافِ

تتــلاقى على الرُّبى والحــوافى

بأناشــيــدِ مــوجكِ العــزّافِ ؟ ؟

* * *

وعلى حــيــنِ غــرةٍ رنّ صــوتٌ

لم يُعَوِّدْ ســـمـــاعَه إنســيٌّ

هبطَ الشاطئَ الطروبَ فما يُسمـ

ـعُ فـيـهِ للهـاتفـاتِ دويٌّ

وإذا الليلُ ســاهمٌ سكَنَ النو

ءُ إليـــهِ وأنصتَ اللجيُّ

يتلقى عن نبأةِ الصوتِ نجوى

كلمــاتٍ ألقى بهنّ نجيُّ

* * *

يا زمـاناً يمـرُّ كـالطيـرِ مـهـلاً

طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيـرانَكْ !

أهناءَ الســاعــاتِ تجـرى وتعـدو

نا عطاشــاً ، فـقف بنا جـريانك !

ويكَ دَعنا نمرحْ بـأجـــملِ أيا

مٍ ونَلقى ، من بَعْدِ خـوفٍ ، أمـانكْ

وإذا نحن لَذَّةَ العـيش ذقنا

ها ومـرَّت بنا فَذُّ دَوَرَانك !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشقاءَ قـد غَمَرَ الأر

ضَ وفاضَ الوجودُ بالتاعسينا

كلهمْ ضارعٌ إليك يرجِّيك

فأسرعْ ! أسرعْ ! إلى الضَّارعينا

وافترس مُشْقِيات أيامهمْ وامـ

ـضِ رحىً تطحنُ الشقاءَ طحونا

رحمةً ، فاذكرِ النفوسَ الحزانى

وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ

يَفْلِتُ اليومَ من يدى ويفرُّ

وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها

ووشيكاً ما تنقضى وتمرُّ

وأنادى يا ليلةَ الوصلِ قرِّى

إن بعد السُّرى يطيبُ المقرُّ

أســـفــاً للصبَـــا وغـــرٍّ ليـــالٍ

ليس يُبـقـى على صـبـاهنَّ فـجـرُ

* * *

فـلـنـحـبَّ الـغــــداةَ ولـنـحـىَ حُبًّا

ولنكنْ فى الحـيـاةِ بعـضـاً لبـعضِ

ولنســارعْ فنقــتــفى إِثْرَ ســاعـــا

تٍ فــقــد تؤذنُ النوى بالتــقــضِّى

إِننا فى الحـــيـــاةِ فى عُرْضِ بحــرٍ

ليس نُلقى المرســاةَ فـيـــهِ بأرضِ

مـــا بـه مـــرفـــأ يَبـــينُ ولكنْ

نحن نمضى فى لجِّه ، وهو يمضى !

* * *

أكـــذا أنتَ ، أيهـــا الزَمَنُ الحـــا

قـــدُ ، تغــتــالُ نشــوةَ اللحظاتِ ؟

حـيثُ يُزجِى لنا الســعــادةَ أمــوا

جــاً من الحبِّ زاخـــرُ اللجـــاتِ ؟

أكــذا أنت ، ذاهبٌ بليـــالى الصــ

ـــفــوِ عنا ســـريعـــةَ الخطواتِ ؟

أكــذا تنقــضى مــلاوةُ نعــمــا
ها كمـا ينقـضى شـقاءُ الحـيـاة ؟

* * *

كيفَ حـدِّثْ : أغـالهـا منك صـرفٌ
فى أبيـدِ الزَّمــانِ حـيثُ طواها ؟
ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يومــاً
أن نراها ؟ أمــا تبــينُ خُطاها ؟
أتراها ولَّتْ جــمــيــعــاً ، ولما
تبقَ حــــتـى آثارُهـا ، أتراهـا ؟
أوَذاكَ الدهرُ الذى افتنَّ فى صــو
غِ صبـاها هو الذى قد مـحـاها ؟

* * *

أيُّهــذا الزمــانُ ، والعــدمُ العــا
تى ، غـريقـين فى سكونٍ وصـمتٍ
أىْ عــمــيقَ اللجـاتِ : مــاذا بأيا
مِ صــبـانا ؟ مــاذا بهنَّ صنعتِ ؟
حـدثينى ، أمــا تعـيـدينَ مــا من
سكراتِ الغــرامِ منا اخــتطفتِ ؟

أوَ مــا تُطلقــينهــا من دياجــيــ
ـكِ ؟ أمـا تبـعـثـينهـا بعدَ مـوتٍ ؟

* * *

أنتِ ، يا هذهِ البــحــيــرةُ ، مــاذا
يكتمُ الموجُ فـــــيكِ والشـطـآنُ
أيهـــا الـغـــابةُ الـظليلةُ رُدِّى
أنت ، يا من أبقى عليـهـا الزمـانُ
وهو يسطيعُ أن يُجِدَّكِ حـسناً ! !
إحـفظى لا أصـابَكِ النسـيـانُ ! !
قلْ حـفظاً أن تذكـرى ليلةً مـرَّ
تْ وأنتِ الطبـيـعـةُ الحـسَّانُ

* * *

ليَكُنْ منكِ ، يا بحـيـرةُ ، مـا لجَّ
بكِ الصـمتُ أو جنونُ اصطخـابكْ
فى مـغـانيكِ حـالياتٍ تراءى
ضـاحكاتٍ على سـفـوحِ هِضـابكْ
فى مـروج الصَّنوبرِ الحـوِّ تهـفـو
سـابغـاتُ الأليـافِ حولَ شـعـابكْ

فى نتوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنا

قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبابكْ

* * *

وليكنْ فى العُباب يهدرُ أمـ

ـواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ

فى انتحابِ الرياح تُعول فى الوديـ

ـانِ إعوالَ قلبىَ المفؤودِ

فى صدى الجدولِ الموقّع أنَّا

تِ حشاهُ بالجندلِ الجلمودِ

فى شذاكِ السرىِّ ينشقُ منه الـ

ـقلبُ ريًا فردوسهِ المفقودِ ! ؟

* * *

وليكن فى النسيم ما هبَّ سار

يهِ يجوبُ الشطآن نحوكِ جَوْبا

فى جبينِ النجمِ اللجينىِّ يُلقى

فِضَّةَ الضوءِ فى مياهِكِ ذَوْبا

وليكنْ فى شتيتِ ما تسمعُ الأذ

نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصـــــوتِ يتلو

« قـد أحـبًا وأخلصـا مـا أحـبـا »

✍ ✍ ✍

## ٧ - قبر شاعر

**رثاء فوزى المعلوف**

رفَّت عليه مورقاتُ الغصونْ

وحفَّهُ العشْبُ بنوَّارِهِ

ذلكَ قبرٌ لم يُشِدْهُ المنونْ

بلْ شادهُ الشعرُ بآثارِهِ

أقامَهُ من لبِناتِ الفنونْ

وزانهُ المجدُ بأحجارِهِ

ألقى به الشاعرُ عِبءَ الشجونْ

وأودعَ القلبَ بأسرارِهِ

* * *

وجاورتْهُ نخلةٌ باسقَةْ

تجثُم فى الوادى إلى جنبِهِ

كأنها الثاكلةُ الوامقَةْ

تقضى مدى العُمْرِ إلى قربِهِ

تئنُّ فيها النسمةُ الخافقَةْ

كأنما تخفقُ عن قلبِهِ

وتُرسلُ الأغنيــــةَ الشـــائقَةْ

قِمْريةٌ ظلَّتْ علـى حـــــبِّهِ

* * *

ويُقــبلُ الفــجــرُ الرقــيقُ الإهابْ

يحنو على القــبـــرِ بأضـــوائهِ

كـــأنما ينشُدَ تحتَ التـــراب

لـــؤلـــؤةً تُزرى بـــلألائـــهِ

إِســتلَّ منها الموتُ ذاكَ الشـهـابْ

غـيـرَ شُعـاعٍ ، فى الدُّجى ، تائه

يَظَلُّ يهــفــو فــوقَ تلكَ الشـعـابْ

يطوفُ باليَنبـــوعِ من مـــائهِ

* * *

ويــذهــبُ الـنُّورُ ويــأتــى الـظـلامْ

وتبـــزغُ الأنجمُ فـى نســـقـــهِ

حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ

أســهــرهُ الثــائرُ منْ شــوقــهِ

تبـــحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجـــامْ

هـوتْ به الأقـــدارُ عن أفـــقـــهِ

أخٌ لهـــا فى الأرضِ ودُّ المقـــامْ

وآثر الغـــربَ على شـــرقـــهِ

* * *

ويُطلقُ الطيـرُ نشـيـدَ الصـبـاحْ

بنغــمــةٍ تصــدُرُ عن حُزنهِ

يَمُدُّ فـــوقَ القــبـــرِ منهُ الجناحْ

ويـرسلُ المـنقـــــارَ فـى ركنـهِ

أفــضى إلى الراقــدِ فــيــه وَباحْ

بــأنَّهُ المــلــهــمُ مــن فـــنِّهِ

فَمِنْ قــوافــيــهِ اســتــمــدَّ النُّواحْ

ومن أغــانيــهِ صــدى لحنهِ

* * *

وحــين تمضى نَسَمَاتُ الخــريفْ

وتملأُ الأرضَ رياحُ الشـــتـــاءْ

ويقـــبلُ الليلُ الدَّجِيُّ المخـــيفْ

فــلا ترى نجــمــاً ينيـرُ السـمــاء

هـناكَ لا غــــصنٌ عليـــهِ ورَيفْ

يـهــفــو ، ولا طيـرٌ يثـيــرُ الغناء

يظلِّلُ الأرضَ الظلامُ الكثيفْ
كأنما تُمسى بوادى الفناءْ

* * *

يا شاعراً ما جمعتنى بهِ
كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارْ
لكنَّه الشرقُ وفى حبِّهِ
ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شجوكَ فى قلبه
ومن مآقيكَ الدموع الغِزار
فودَّ أنْ لو نِمْتَ فى تربهِ
ليشفىَ النفسَ بهذا الجوارْ

* * *

قد راعنى موتُكَ ، يا شاعرى
فى ميعةِ العمرِ وفجرِ الشبَابْ
وهزَّنى ما فاضَ من خاطرِ
كانَ ينابيعَ البيانِ العِذَابْ
ونفثاتُ القَلَمِ الساحرِ
فى جوبِكَ الأُفقَ وطىَّ السحابْ

ووقفةٌ بالكوكبِ الحائرِ

رأى بساطَ الريحِ يدنو فَهَابْ

* * *

لكنَّهُ شعركَ لمَّا يَزَلْ

يُردِّدُ الكونُ أناشيدَهُ

شعرٌ كَصوْبِ الغيثِ أنَّى نزلْ

أرقصَ فى الرَوْضِ أماليدَهُ

وعلَّم الطيرَ الهوى والغَزَلْ

فأسمعَ الزهرَ أغاريدَهُ

وَغَنَّتِ الريحُ به فى الجَبَلْ

فحركتْ منهُ جلاميدَهُ

* * *

يا قبرُ لم تُبْصِرْكَ عينى ولا

رأتك إلا فى ثنايا الخيالْ

ملأتَ بالرَّوْعِ فؤاداً خلا

إلا من الحبِّ ونورِ الجمالْ

أوحيتَ لى سرَّ الردى فانجلى

عن عينىَ الشكُّ وليلُ الضلالْ

ـ ذا ستطوى القلبَ أيدى البلى

ويقنصُ النجمَ عقابُ الليالْ

* * *

هكذا تمضى ليالى الحياهْ

والقبرُ مازالَ على حالهِ

دنيا من الوَهْمِ ودهرٌ تراه

يغَرِّرُ القلبَ بآمالهِ

يسخرُ من مبتسماتِ الشفاهْ

وجامدِ الدمعِ وسيَّالهِ

دهرٌ على العالمِ دارتْ رحاهُ

فلم تَدَعْ رسماً لأطلاله

✍ ✍ ✍

## ٨ – شاعر مصر

**فى رثاء حافظ إبراهيم**

دَعَوْتَ خَيالى فاستجابتْ خواطرى
وحـــدَّثنى قلبى بأنكَ زائرى
عَشَيَّةَ أغرى بِى الدُّجى كلُّ صائحٍ
وكلُّ صدىً فى هَدْأةِ الليلِ عابرِ
أقولُ مَنِ السَّارى ؟ وأنتَ مُقَارِبِى
وأهتفُ بالنَّجْوَى ، وأنتَ مُجاوِرِى
أُحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحاً وخاطراً
كأنَّك مبعوثُ الليالِى الغوابرِ
ومثَّلَ لى سمْعى خُطاكَ ، فخِلْتُها
صَدَى نبأٍ من عالمِ الغَيْبِ صادرِ
سِوى خطراتٍ من بَنانٍ رفيقةٍ
طَرَقْتَ بها بابى فَهَبَّتْ سرائرى
عرفتُكَ ، لم أسمعْ لصوتِكَ نَبْأةً
وشِمْتُكَ ، لم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ ناظرى
أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حُلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،

فَجدِّدْ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ

وساقِطْ جَنَاها من قوافيكَ سَلْسَلاً

رَخِيماً كأرْهامِ النَّدى المُتناثِرِ

سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ

كؤوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافرِ

نَجيُّ الليالى القاهريَّاتِ : طُفْ بها

خَيَالَةَ ذكرى ، أو عُلاَلَةَ ذاكرِ

وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ

إليكَ ، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ

وطالِعْ سماءً فى مَعَارجِ قُدْسِها

مَرِحْتَ بِوُجْدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ

وسَلْسلْتَ من أندائِها وشُعاعِها

جَنَى كَرْمَةٍ لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ

تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهىِّ كأسُها

فغَرَّدَ بالإِلْهَامِ كلُّ مُعاقِرِ

عَلَى النِّيل رُوحانيةٌ من صَفائِها

وَلألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سافرِ

فــصــافِحْ بعــينيكَ الدِّيارَ فطالما
مَدَدْتَ على آفــاقِهــا عــينَ طائرِ

وخُذ فى ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبِعْ
خُطَى الوحْيِ فى تلكَ الحقولِ النَّواضرِ

حـــدائقُ فـــرعَونٍ بدفَّاقِ نَهــرِها
وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهـــــــرِ

وفى شُعَبِ الوادى ، وفــوقَ رمــالهِ
عِصِىُّ نبىٍّ ، أو تَهَاويلُ ســاحــرِ

صـوامعُ رُهْبانٍ ، مَحـاريبُ سُجَّدٍ ،
هيــاكِلُ أربابٍ ، عـروشُ قـيـاصـرِ

سَرَى الشـعرُ فى باحـاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفــاسٍ ، ونَجْوَى ضـمـائرِ

وهـمْسَ شِفــاهٍ تَشْمَلُ الروحُ عندَهُ
وتَسْبَحُ فى تِيـهٍ من السِّحْرِ غـامـرِ

هو الشـعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها
وحُلْمُ صِبــاها فى الرَّبيعِ المُبــاكِرِ

وصــوتٌ بـأسـرارِ الطبـيـعـةِ ناطقٌ
ولـكـنَّه روحٌ ، وإبداعُ خـــــاطرِ

وونْبَةُ ذِهنٍ ، يَقْنِصُ البــرقَ طائراً

ويغــزو بروجَ النَّجْمِ غــيــرَ مُحــاذِرِ

فــيــا دُرَّةً لم يحـوِها تاجُ قــيــصــرٍ

ولا انتظمتْ إلا مــفـــارقَ شــاعرِ

تألَّه فــيكِ القلبُ واسـتكبـرَ الحِجَى

على دَعَةٍ ، من تَحْتــهـــا روحُ ثائرِ

إذا اعترضَ الجبَّارُ ضَوءَكِ شامخاً

تَلَقَّيْتِهِ كـــبْراً ببَسْمَةِ ســـاخـــرِ

لَستِ حـــديدَ القَيْدِ فـــانحلَّ نظمُه

وأطلقتِ أســـــرَى من براثِنِ آسِرِ

ومــا زِدْتِ فـى الأحداثِ إلا صــلابةً

إذا النَّارُ نالتْ من كِرامِ الجـــوَاهرِ

يزينُ بكِ الرَّاعى ســقــيــفــةَ كُوخِهِ

فـتــخــشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقــاصــرِ

أضاعوكِ فى أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا

بــأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغْلَى الـذَّخـــــائرِ

وهُنتِ على مــهـــدِ الفنونِ ، وطالما

ســمــوتِ بسلطانٍ من الفنِّ قــاهرِ

إذا افــتــقــدَ التــاريخُ آثارَ أمَّةٍ

أشَرْتِ بما خلَّدتِهِ من مــــآثرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزَلْ

خــيــالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وســامرِ

وشـعـرُكَ فى الأفـواهِ إنشــادُ أمـةٍ

تغنَّتْ بماضٍ واسـتـعـزَّتْ بحـاضرِ

وذِكْراكَ نَجْوى اليائسينَ ، إذا هَفَتْ

قلوبٌ ، وحـارتْ أدْمُعٌ فى المَحـاجرِ

يَدُلُّ عـلـيكَ الـقـلـبَ أنَّاتُ بـائسٍ

ونظرةُ مـخْزونٍ ، وإطراقُ ســادرِ

ومــا أنتَ إلاَّ رائدٌ من جـمـاعـةٍ

تَوالَوا تِبـاعـاً بالنُّفـوسِ الحـرائرِ

صَحَتْ بادياتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبـارِهِمْ

علـى شَدْوِ أقـــلامٍ ولمـعِ بـواتِرِ

وفى القِمَمِ الشَّماءِ ، مِنْ صَرَخاتِهم ،

صَدَى الرعدِ فى عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ

يضـيـئـونَ فى أفْقِ الحـياةِ كـأنَّهمْ

على شَطِّهـا النَّائى منارةُ حـائرِ

فــيــا شــاعــراً غَنَّى فَرَقَّ لشَجْوِهِ

جَفـاءُ اللّيـالى ، واعـتِسـافُ المقـادِرِ

لَكَ الدهْرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى

خـَـمـيلةُ شــادٍ آخـذٍ بالمشَاعـرِ

فَنَمْ فى ظلالِ الشَّرْقِ ، واهنَأ بمضْجَعٍ

نَدِيٍّ بأنفـــاسِ النَّبِيِّينَ عـــاطِرِ

ووَسِّدْ ثـراهُ الـطُّهْرَ جَنْبَكَ وانـتَظِمْ

لِداتَكَ فـــيـــه ، فَهْوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

✍ ✍ ✍

## ٩ - شوقى

### فى رثاء الشاعر أحمد شوقى

هَجَرَ الأرضَ حـينَ مَلَّ مـقـامـهْ

وطوى العـمـرَ حـيـرةً وسـآمـهْ

هَيْكلٌ من حـقـيـقـةٍ وخـيـالٍ

مَلَكَ الحبُّ و الجـمـالُ زمـامَه

ألْهَمَ الشـعـرُ أصـغـريهِ فـرقًا

فى فَمِ الدهرِ كـوثراً و مُدامـه

سلسـبـيلٌ من حكمـةٍ و بيـانٍ

فَجَّرَ اللهُ منهـمـا إلهـامَه

تـأخـذُ القلبَ هَزةٌ مـن تسـا

قـيـهِ ، ويَنْسى بسـحـره آلامـه

غَمَرَ الأرضَ رحـمـةً وسَلامـاً

وجـلا الكونَ فـتنةً ووسـامـه

مـالنـا مِسْمعَ الوجـودِ نشـيـداً

عَلَّمَ الطيـرَ لحنَهُ وانسـجـامـهْ

مـالَهُ و الزمـانُ مـصـغٍ إليـه

رَدَّ أوتـارَه وحـطَّمَ جَامَهْ ؟

رَوَّعَ الطيرُ يومَ غـابَ عن الأيـــ

ـــكِ وسـالتْ جـراحُهـا الملتـامـة

مـا الذى شـاقَهُ إلى عـالمِ الرُّوْ

حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المسـتـهـامـة !

راعـهـا النورُ وهـىَ فى ظلمـة الكـ

ـكونِ فـخـفَتْ إليـه تطوى ظلامـهْ

هـى بـنـتُ الســمـــاءِ وهـو من

الأرض سليلٌ نما التـرابُ عظامـه

فـاهتـفـوا باسـمـه فـمـا مـاتَ ، لكنْ

آثرَ اليـومَ فى السـمـاءِ مُقـامـهْ !

* * *

حـدّثتنى الرياضُ عنهُ صَبـاحـاً

مـا لصـدّاحِهـا جـفـا أنغـامـهْ ؟

وشـكـا لـى الـنـســيـمُ أولَ يـومٍ

لم يُحـمِّلْهُ للحـبـيبِ سـلامـهْ

وتسـمـعتْ للغـديرِ يُنادى

مـا الذى عـاقَ طيـرَه وحـيـامـهْ ؟

أتُراهُ تـرشّفَ الفـجـرَ نـوراً

أم شـفـى من نَدَى الصـبـاحِ أوامـهْ

ورأيتُ الجـمـالَ فى شُعَبِ الوادى

ينـادى بطـاحَهُ و أكـــامــــهْ

صـارخـاً يسـتـجيـرُ شـاعرَهُ الشـ

ـــادى ، ويدعـــو لفنِّه رسَّامــهْ

فَتَلَفَّتُّ باكـــيــــاً وبعـــينى

شَبَحٌ تخـطرُ المـنونُ أمــــامــهْ

هـتفَ القلبُ بالمنادينَ حــولى :

لَقِىَ الصــادحُ الطروبُ حِمــامــهْ

فــاذكــروا شـدْوَهُ بكل صــبــاحٍ

وارقـــبـــوا من خَيَاله إلمامـــه

وامـلأوا الأرضَ والسـمـاءَ هُتـافـاً

عَلَّهُ لم يَرَ الصــبـــاحَ فنامـــهْ

* * *

لـم يرُعنِى مـن جـــانبِ النيلِ إلا

كـــرمــةٌ فـــوقَهَا ترفُّ غَمَامـــة

تحت سـاجى ظلالـهـا زهـرةٌ تبـ

ـكى ، وفى فَرْعِهَا تنوحُ حـمَامـة

عـرفُتـهـا عـينى ، ومـا أنكرتهـا ،

من ظلامٍ و وحـشـةٍ و جَهَامـة

قلتُ يا كَرْمَةَ ابنِ هانى سَلامـــاً

ليسَ للمـرءِ فى الحـيـاةِ سـلامـة

نحنُ ، لو تعلمـينَ ، أشـبـاحُ ليلٍ

عـــابرٍ يَنسخُ الضــيــاءُ ظلامـــه

والذى تلمـــحـــينَ من لَهبِ الشـــ

ـمسِ غداً يُطفىءُ الزمـانَ ضـرامـه

والذى تبـــصـــرينَهُ من نجـــومٍ

فَلَكٌ يرصـــدُ القـــضـــاءُ نظامـــه

عَبَثـــاً نُنشـــدُ الحـــيـــاةَ خلوداً ،

ونرجِّى الصِّبـــا ، ونبـــغى دوامــهْ

إنما الأرضُ قـبـرُنا الواسعُ الرحـــ

ـــبُ وفى جـوفِهِ تطيبُ الإقــامــة

أودعَ القلبُ فـــيــــهِ آلامَه الكـــ

بدى ، وألقى ببـــابه أحـــلامـــه

نَسِىَ الناعـمـونَ فـيـه صـبـاهُمْ

وسـلا المغـرمُ المشـوقُ غـرامــهْ

فـامـسـحى الدمعَ وابسمى للمنايا

إنَّ دنيـاكِ دمـعـةٌ وابتـسـامـة ! !

* * *

أيهـا المسـرحُ الحـزينُ عـزاءً

قـد فـقـدتَ الـغـداةَ أقـوى دعـامـه

ذَهَبَ الشـاعـرُ الذى كنتَ تسـتـو

حى وتسـتلهمُ الخلودَ كـلامـهْ

ولكَ اليـومَ همـةٌ فى شـبـابٍ

مـلأوا الـعـصـرَ قـوةً و همُامـهْ

نزلوا سـاحةً يشـيـدونَ للمـجـ

ـدِ وشـقُّوا إلى الحـيـاةِ زحـامـه

فـاذكـروا نهـضـةَ البـيـانِ بأرضٍ

أطلعتْ فى سـمـائهـا أعـلامـه

إنهـا أمـةٌ تـغـارُ على الفنِّ

وترعـى عـهـودَه و ذمـامـهْ

لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ فى الشر

قِ ، وفى كـفِّهـا لواءُ الزعـامـة

إنَّ يومـاً يفـوتُهـا السَبْقُ فـيـهِ

لهـوَ يومُ المعـادِ يومُ القـيـامـة ! !

✍ ✍ ✍

# ١٠ - سورية وعيد الجلاء

## تحية استقلال سورية

## ورثاء صبرى ابو علم

هنَّأتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحرارا

يَنْدَى هواكِ على هاماتهمْ غارا

دمَشْقُ ! يا بلدَ الأحرارِ ، أىُّ فتىً

لم يَمْتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !

ذَوْدا عن الوطنِ المعبودِ ، من دمهِ

للمجدِ يبنيهِ آطاماً وأسوارا

زَكَتْ « أميَّةُ » فى أعراقهِ وجرتْ

دماً يُروِّى الثرى أو يغسلُ العارا

عيدُ الجلاءِ أسمِّيهِ وأعرفهُ

يومٌ تَبارِكَ أنداءً وأسحارا

جلا عن الشرقِ ليلُ البغى حينَ جلا

عروبةٌ فيكِ تَلْقَى الأهل والدارا

لولا مصابٌ دهى الوادى فشبَّ به

ناراً ، وهاجَ النسيمَ العذبَ إعصارا

وروّعَ الأمـــةَ الغلبـــاءَ فى رَجُلٍ

شــدّتْهُ قــوســاً ، وسلّتْ منه بتّارا

من النوابغِ أعـمـاراً إذا قــصـرتْ

مـدَّ النبـوغُ لهم فى الخلدِ أعـمـارا

أحـرارُ مملكةٍ فى الرأى مـا أثمـوا

سَمّاهمــو الغــاصبُ الظّلام ثُوّارا

ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا

على الطواغيت حِصْنَ الظلم فـانهـارا

... لولاهُ كـانَ إليكِ البـرقُ راحلتى

أطوى به الجـوَّ آفــاقــاً وأقطاراً

وجئتُ «فيحاءُ» أزجى الشعرَ مُفتَقِداً

تحتَ الصفـائحِ مـقـدامـاً ومـغـواراً

والمفتدونَ ، شُراةُ الخلد ، قُلْ لهمو

مـا ينظمُ المدحُ ألحـانـاً وأشـعـاراً !

✍ ✍ ✍

## ١١ – بطل الريف : عبد الكريم الخطابى

لا السـيفُ قَرَّ ولا المحـاربُ عـاداً

وسسَيْحَ البشيرِ ! بأىِّ سلْمٍ نادَى ؟

الأرضُ من أجسـادِ من قُتِلوا بهـا

تَجْنِى العـذابَ وتُنْبِتُ الأحـقـادا

فاضَ السحابُ لها دَماً – مُذْ شَيَّعتْ

شَمسَ النهـارِ – فـخـالطتْهُ سَوادا

رأتِ الحِدادَ به على أحـيـائهـا

أتُرَاهمو صَبَغوا السمـاءَ حِدادا !

وَدَّ الطُّغـاة بكلِّ مَطْلَعِ كـوكبٍ

لو أطفـأوه وأسـقطوهُ رَمَادا

وتخـوَّفُوا وَمْضَ الشِّهـابِ إذا هَوَى

وَبُروقَ كلِّ غـمـامـةٍ تتـهـادَى

ولو انَّهم وَصَلُوا السـمـاءَ بعِلْمِهم

ضَرَبوا على آفـاقـهـا الأسْدَادَا

لـولا لـوامِعُ مـن نُهـىً وَبـصَائـرٍ

تَغْزُو كُهـوفـاً أو تَوُمُّ وِهـادا

لـم يَرْقَ عَقْلٌ أو تَرِقّ ســــــــريرةٌ

وقـضى الوجـودُ ضـلالةً وفسـادا

راعَ الطُّغـاةَ شُعَاعُهُ فـتـســاءلوا

مَنْ نَصَّ هــذا الـكَوْكَبَ الـوَقّادَا ؟

إنْ تَجْهَلــوا فَســلُوا بــه آبــاءَكُم

أيّامَ شَعَّ عـــــــدالةً ورِغـــــــادا

هـل أبـصـــــــروا حُرِّيَّةً إلا بــه

أو شــيَّدوا لـحــضـــارةٍ أوتادًا ؟

حَمَلَتْ سَنَاهُ لـهـم يَدٌ عــــــربيّةٌ

تبنى الشـــعـــوبَ وتنسجُ الآبادا

هـى أمّةٌ بالأمسِ شــــــادتْ دَولةً

لا تعــرفُ العِبْدانَ والأســيــادًا

جُرْتُمْ عليــــهـــا ظالمينَ بعَدِّكم

وعَدِيدِكم تتـــخـــايلونَ عَتَادا

ومَنَعْتُمــوهـا من مــواهبِ أرْضِـهـا

مـــاءً بهِ تَجِــدُ الحــيـــاةَ وَزَادا

فى المغربِ الأقصى فتىً من نورِها

قَدَحَتْ به كفُّ الســـمـــاءِ زِنادا

سَلَّتْهُ سـيـفـاً كي يحـرِّرَ قَوْمَهُ

وَيُزِيلَ عن أوطانهِ اسـتـعـبـادَا

مـا بالُكم ضِقْتُم به وحَشَدْتُمُو

من دونِهِ الأسـيـافَ والأجنادَا ؟

اشْعَلْتُمُـوهـا ثورةً دَمَوِيَّةً

لا تعـرفـونَ لنارِها إخـمـادَاً

حـتى إذا أوْهَى القـتـالُ جِلادَكم

ومـضى أشَدَّ بسـالةً وجِلادَا

جـئْتُمْ إليـهِ تُهـادِنونَ سُيـوفَهُ

وسـيـوفُهُ لم تسكُنِ الأغـمـادَا

وكتبتمو عهداً - بحَدِّ سيوفكم -

مَزَّقْتُمُوهُ ولـم يـجِفَّ مِداداً

* * *

الأهلُ أهْلُكَ ، يا أمـيـرُ ، كمـا تَرَى

والـدَّارُ دارُكَ قُبَّةً وعِمَادَا

أنَّى نَزَلْتَ بمصـرَ أو جـاراتِهـا

جـئْتَ العُروبةَ أمَّةً وبِلادَا

مَدَّت يدَيْها و احْتَوَتْكَ بصدرِها

أمٌّ يَضُمُّ حنـانُهـا الأولادَا

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استَوْدَعْتَها

رَدَّتْ عليكَ المَهْدَ و الميــــلادَا

وَأتَتْكَ بالذِّكَرِ الخــــوالدِ طاقـــةً

كـأجَلِّ مــا جـمـعَ المحبُّ وهادَى

مـاذا لَقِيتَ من الزَّمـانِ بصـخـرةٍ

قاسَيْتَ فـيـهـا غُرْبَةً و وِجادًا ؟

وبَلوْتَ من صلَفِ الطُّغـاةِ وعَسْفِهِم

فـيـهـا الليـالى والسنينَ شِدَادًا ؟

جعلوا البحـارَ ، ومثلُهُنَّ جبالُها ،

سَدًّا عليك وأوسـعـوك بعــادَا

دَعْهُم ! فـأنتَ سَخِرْت منَ أحلامـهمْ

وأطَرتَهُنَّ مــع الــريــاحِ بــدادًا

عشرينَ عاماً ، قد حَرَمْتَ عيونَهم

غُمْضَ الجـفونِ ، فـما عَرَفْنَ رُقـادَا

يَتَلَفَّتُون وراءَ كـلِّ جــــــــزيـرةٍ

ويســــائلونَ الموجَ و الأطوادَا

من أىِّ وادٍ .. مــوجـــةٌ هتــفَتْ به

ومضى ، فحملَّها السلامَ ، وعادَا

لو أنصفوا قَدَرُوا بطولةَ فارسٍ
لبلادِهِ بدَمِ الحُشاشةِ جادَا
نادَى بأحرارِ الرجالِ فقرّبوا
مُهَجاً تموتُ وراءَه استشهادا
يدعو لحقٍّ أو لإنسانيّةٍ
تأبى السجونَ وتَلْعَنُ الأصفادَا
شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِك أن ترى
هذى الفتوحَ وهذهِ الأمجادَا
« الرِّيفُ » هَبَّ منازلاً وقبائلاً
يدعو فتاهُ الباسلَ الذَّوَّادَا
حَنَّ الحُسامُ لقَبضَتيْكَ ، وحَمْحمتْ
خيلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قيادا
وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلاحِمٌ
تُشْجِي النُّسورَ وتُطْرِبُ الآسادَا
أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ ، وَألهمتْ
فُرسانهمْ تحت الوغى الإنشادا
عبدَ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى
إلا صراعاً قائماً وجهادا

الشـــرقُ أجْمَعـــهُ لواءٌ واحـــدٌ

نَظَ مَ الصـــفـــوفَ وهيَّأ القُوَّادا

لم يتـركِ الـسـيفُ الجـوابَ لسـائلٍ

أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ مـــيـــعـــادا

سـالتْ حلوقُ الـهـاتفـينَ دمـاً ، ومـا

هزُّوا لطاغـيـةِ الشـعـوبِ وِسـادَا

فــصُـغِ البــيــانَ بـهِ ، وأنْطِقْ حَدَّهُ

يَسْمَعْ إليكَ ، مُكَرَّراً ومُعـــادَا

كَذَبَتْ مـــودَّاتُ الشفَّـــاه ولم أجــدْ

رغمَ الـعــداوةِ كــالســيــوفِ وِدادا

✍ ✍ ✍

# ١٢ - الأمسية الحزينة

**عند برزخ بين بحيرة المنزلة**

**وشاطئ البحر المتوسط**

جــدَّدتِ ذاهبَ أحــلامى وليــلاتى

فَهَلْ لديكِ حديثٌ عن صباباتى ؟

يا كـعـبـةً لخـيـالاتى ، وصـومـعـةً

رتَّلتُ فى ظلِّهـــا للحـــسنِ آياتى

للحُبِّ أولُ أشـعـارٍ هتـفتُ بهـا ،

وللجــمــالِ بهــا أولى رســالاتى

عليكَ وادىَ أحــلامى وقــفتُ أرى

طيفَ الحوادثِ تمضى بعد مأساةِ

آوى إلى جَنَبَاتِ الصـخـرِ منفـردا

أبكى لأمــســيــةٍ مــرَّت وليــلاتِ

قـــد غَيَّرتنا الليــالى بَعْدَهَا سِيَرا

وخلَّفـتنا العـوادى بعضَ أشـتـاتِ

تلفَّتَ القلبُ فى ليــــلاءَ باردةٍ

يبكى ليــاليكَ الغُرُّ المضــيـئـاتِ

وذكـــرياتٍ من الماضـى يُطالعُهـــا

بينَ الحـقـولِ وشُطآنِ البـحـيـرات

* * *

يا طولَ مــا نَغَّمَتْ للصَّخْــرِ أناتى

وشـــدَّ مـــا رجَّعتْ للمـــوجِ آهاتـى

يا قلبُ ، وادى الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ

وأقـفـرتْ من صـبـاياهُ الجـمـيـلاتِ

فــلا الجـداولُ تحـدوها مـسلسلةً

ولا الخـمـائلُ تهـفـو بـالنضـيـراتِ

صَوَّحنَ من مـشـرقِ الوادى لمغربِهِ

فـــمـــا بهنَّ مُطيفٌ من خـــيـــالاتِ

ما فـى حيـاتِكَ من سلوى تلوذُ بـها

لكنهُ الحبُّ ذاكَ القـــاهرُ الـعـــاتـى

قـد فـاجـأتْكَ غـواشيِـه التى سكنتْ

إنَّ الليـــالـىَ مـــلأى بالفُجـــاءاتِ

* * *

يا لَلْبُحـيـرةِ : من يرتادُ شـاطئـهَا

ومن يُسِرُّ إلى الوادى مناجــاتـى ؟

ومن يعيدُ لنا أطيافَ ليلتها

وما غَنِمْنَا عليها من أويقاتِ

وخلوةٍ فى حَفَافيها وقد عَبَثَتْ

يَدُ الصَّبا بحواشيها الموشّاةِ

يضمُّنا باسقٌ ، فى الشطِّ ، منفردٌ

ضَمَّ الشَّتيتَيْنِ فى علياءِ جناتِ

وللقلوبِ أحاديثٌ يجاوبُهَا

تناوحُ الطيرِ فى ظلِّ الخميلاتِ

* * *

يا ليلةً قد ذهلنا عن كواكبها

فى زورقٍ بين ضفّاتٍ ولجّاد

يسرى بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفعهُ ،

كالنجمِ يسبحُ فى علوىٍّ هالاتِ

وفى الشواطىءِ للمجدافِ أغنيةٌ

يَصُبُّها الموجُ فى سحرىٍّ موجاتِ

ما كانَ أهنأها دنيا ، وأهنأنا

فى ليلِها الصَّحْوِ، أوفى فجرها الشاتى

مَرَّت خيالاتُ ماضيها ، وما تَرَكَتُ

سوى وجومٍ لياليها الحزيناتِ

ومن تَلَهّفِ أحنائى وثارتِهَا

يا لَلْجَوَانحِ من وَجْدى وثاراتى

ياصرخةَ القلبِ ، هل أسمعتِ منك صَدَىً

مَنْ ذا يردُّ الصدَّى فى جوفِ موماةِ ؟

جوبى مفاوزَ أيامى فقد صَفِرَتْ

من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ

قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى

وضلَّتِ العينُ فيها إثرَ غاياتى

حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتى

فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شبابى فى يفاعَتِهِ

ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعى وأناتى

حرمتَ أيامىَ الأولى مفارحَها

فما نعمتُ بأوطارى ولذَّاتى

فَدَعْ فؤادىَ محزوناً يرفُّ على

ماضى لياليَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتى

دَعْنى على صخرةِ الماضى لعلَّ بها

مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتى !

✍ ✍ ✍

## ١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيَّتُها الطبيعةُ ، كالحزينةِ في بلادي ؟

لولا أغاريدٌ ترسلُ بينَ شاديةٍ وشادي

وخيالُ ثَوْرٍ حولَ ساقيهِ يُراوحُ أو يُغادي

وقطيعُ ضأنٍ في المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادي

لحسبتُ أنكِ جَنَّةٌ مهجورةٌ من عهدِ عادِ

هجروكِ ، لا كنتِ العقيمَ ولَستِ مُنْجِبَةَ القَتادِ

عجباً وماؤكِ دافقٌ ونجومُ أرضكِ في اتِّقادِ

لو كنتِ في الغربِ الصَّناعِ لكنتِ قبلةَ كلِّ هادي

وافتنَّ فيكِ الفنُّ بالروحِ المُحرِّكِ للجمادِ

وتفجَّرَ المَرحُ الحبيسُ بكلِّ ناحيةٍ ووادي

ولقلتُ أبتدرُ الشُّداةَ غداةَ فجرٍ أو تنادي

هذي الروائعُ فيكِ لم تُخْلَق لغيركِ ، يا بلادي !

✍ ✍ ✍

## ١٤ - على النيل

### من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إنْ وردتَ النِّيلَ قبلَ ورودى

فــحيٍّ ذِمــامى عِنْدَهُ و عُهُودى

وَقَبِّلْ ثرىً فــيــه امــتــزجنا أُبُوَّةً

ونَسْلِمُهُ لابنٍ لنـا وحـــفـــيــدِ

أخى ! إنْ أذانَ الفـجـرِ لَبَّيتَ صوتَهُ

سَمِعْتَ لتكبيرى ووقْعِ سجودى

ومــا صُغْتَ قــولاً أو هتــفتَ بآيةٍ

خَلا مَنطقى من لَفْظِهَا وقصيدى

أخى ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً

أفَقْتُ على يومٍ أغـــرَّ ســعــيــدِ

أخى ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادرا

نَبا فيه جنبى واستحالَ رقودى

أخى ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ

خـمائلُ جنَّاتى وطابَ حـصـيدى

أخى ! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ

مشى الموتُ فى زهرى وقصَّفَ عودى

فكيفَ تُلاحـينى وألحـاكَ ؟ إننى
شهيدكَ فى هذا .. وأنتَ شهيدى !
حياتُكَ فى الوادى حياتى ، فإنما
وُجودُكَ فى هذى الحياةِ وجودى

*   *   *

أخى ! إنْ نزلْتَ الشاطِئَيْن فَسَلْهما
مَتى فَضَلا مـا بيننا بحـدودِ ؟
رَمـانى نَذيرُ السُّوءِ فـيكَ بِنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بالأحـزانِ ليلةَ عـيـدى
وغامتْ سمائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِسَتْ
مـزَاهرُ أحـلامى ومـاتَ نشـيـدى
غـداةَ تَمنَّى المسـتـبـدُّ فِراقنا
علـى أرضِ آباءٍ لنـا وجـدودِ
وزفَّ لنا زَيْفَ الأمـانى عُلالةً
لعلَّ بنا حُبَّ السـيـادةِ يُودى
أُخـوَّتُنا فـوقَ الذى مـانَ وادَّعى
ومـا بيننا من سيِّـدٍ ومـسـودِ
إذا قالَ «الاستقلالُ» فاحْذَرْهُ ناصباً
فِخـاخَ «احـتـلالٍ» كـالدهورِ أبيـدِ

وكم قَبْلُ منَّانى ، على وَفْرِ ما جَنَى

بِحَرْبَيْنِ ، من زرعى وضَرْعِ وليدى

فلمــا أتاهُ النصــرُ هاجَتْهُ شِرَّةٌ

فــــهمٌ بنكرانى ورامَ جُحُودى

ألا سَلْهُ ، ماذا بَعْدَ سبعينَ حجّةً

أأنجــزَ من وَعْدٍ ؟ أفكَّ قــيــودى ؟

✍ ✍ ✍

## ١٥ – القبَّرة

### عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيهـا الرُّوحُ يهـفـو حَوْلَهُ الفَرَحُ

تحـــيَّةٌ ، أيُّهــذا الصـــادحُ المَرِحُ

من أمَّةِ الطَّيرِ هذا اللحنُ ما سمِعتْ

بمثلـه الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ

أنت الذى من سـمـاءِ الرُّوحِ منهلُهُ

خـــمــرٌ إلهـــيــةٌ لم تَحْوِهَا قَدَحُ

يفــيضُ قلبُك الحــاناً يُسلسِلُهـــا

فنٌ طليقٌ من الوجـدانِ منســرِحُ !

* * *

وعــاليــاً ، عـاليــاً ، لا زلتَ منطلقــاً

عن الثــرى ، تصِلُ الآفــاقَ آمــادا

مثلَ السحابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،

والبــرقِ مــؤتلقـــاً ، والنَّجمِ وقَّادا

يهفو جَنَاحاكَ فى أعماقِ زُرْقَتِها

وأنتَ تَضْرِبُ فى الآفـــاقِ مُرتاداً

تشدو فَتُمْعِنُ فى أجـوازِهَا صُعُدا

فــإنْ عَلَوْتَ بهــا أَمْعَنْتَ إنشــادا

* * *

ومــائجٍ ذَهبىٍّ النُّورِ قــد غــرقتْ

فى ذَوْبِهِ الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثانى

تُوَهِّجُ السُّحبَ البـيـضــاءَ حُمـرتُه

فَتَسْتَحــيلُ عليــهــا ذاتَ ألوانِ

أشــعــةٌ ذاتُ أمــواجٍ غَدَوْتَ بهــا

تطفـو وترسبُ فى لُجـيِّهـا القـانى

كـأنما أنت - جــذلاناً تـراوحنا -

روحٌ من الطَّرب العلوىِّ نـورانـى

* * *

تذوبُ حـــولكَ إمَّا طِرْتَ فى افُقٍ

غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى

كنجمــةٍ فى سمـاءِ اللَّيلِ خـافقـةٍ

تذوبُ فى فَلَقٍ للصـــبحِ وهَّاجِ

يـا من تُطـرِّبنى الحـــانُ غِبْطَتِهِ

ومــا رَايتُ لَهُ طيــفــاً بمعــراجِ

ألاَّ أراكَ فـإنى سـامعٌ نغـمـاً

يهـفـو إلىَّ بإطرابٍ وإبهـاجِ

* * *

وصاعداً فى مضاءِ السهمِ أرسلَهُ

قـوسٌ من الكَوْكبِ الفضىِّ منزعـهُ

ينأى فـيخـبـو رويداً وهْجُ شُعْلَتـهِ

حتى يُلاشَى كـأنَّ الفـجـرَ يتبـعـهُ

وترسلُ العـينَ نرعـاهُ هنا وهنا

ومـا يبـينُ لنا من أيْنَ مطلعـهُ

حتى إذا عـزَّنا المرأى وأجـهـدنا

دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

* * *

هذى السمـاءُ بموسـيقـاكَ مـائجـةٌ

والأرضُ يغمُرُها من صوتكَ الطَرَبُ

وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى

غـمـامـةٍ خلَّفَتـهـا وَحْدَهَا السُّحُبُ

وقـد بدا القَمَرُ الوضَّاحُ يُمطرها

إرسـالَ ضـوءٍ على الآفـاقِ يَنْسَكِبُ

يرمى السموات سيلٌ من أشعَّتِها

تكادُ تسبحُ فى طوفانِهِ الشُّهُبُ

* * *

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللَّيلَ منفرداً

ولم تقعْ لى عليهِ بَعْدُ عينانِ ؟

أىُّ الخليقةِ قل لى أنتَ تشبهُهُ

وأيها منكَ فى أوصافِهِ دانى ؟

وهذه السُّحْبُ أصباغاً مُشَكَّلَةً

فى رائعٍ من فَريدِ اللَّونِ فتَّانِ

لا ينزلُ الغيثُ منها مثلما نزلتْ

شتَّى أغانيكَ فى سحرىٍّ ألحانِ !

* * *

كشاعرٍ فى سماءِ الفكرِ مُختبئٍ

دلَّ الوجودَ عليه لحنُه العالى

ألحانُ أغنيةٍ أمسى يُرتِّلها

كمرسلٍ من نشيدِ الخُلْدِ سيَّالِ

أسلْنَ بالعالمِ السالى خوالجَهُ

حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعَثنَ من ألمٍ فيـهِ ومن أمَلٍ

مـا لم يكنْ منهُ فى يومٍ على بالِ

* * *

كـأنَّ حـوريةٌ فى ظلِّ شـاهقـةٍ

من البروجِ تقضِّى العيشَ فى خَلَسِ

لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ

نيـرانُ قلبٍ لهـا فى فَحْمَةِ الغَلَسِ

باتتْ تلطِّف آلامـاً تسـاورُها

فى عـزلةٍ بنشيدٍ سـاحـرِ الجـرسِ

تطوفُ ألحانُ موسيقاهُ مـخدعـها

كـأنهُ الحبُّ فى إيقـاعـهِ السلِسِ

* * *

كـأنَّ بين الرُبا التـفَّتْ خـمـائلُهـا

فـراشـةٌ من سـبـيكِ التِّبـرِ جلواءُ

يا حـسنَ أجنحـةٍ منهـا مـذهبـةٍ

قـد رقَّشـتـهـا مِنَ الأسـحـارِ أنداءُ

تُرِى السماءَ صفاءً فهى إنْ خطرتْ

فللسـمـاءِ بهـذا اللَّونِ إغـراءُ

تجلو الأزاهرَ والأعشابَ طلعتُها

إذا بدتْ ولها فيهنَّ إخفاءُ

* * *

كزهرةِ الحقلِ فى غَيْناءِ سُرْحتِها

لم يملأ النورُ منْ أجفانِها حَدَقا

حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هاجرةً

زكتْ وأربتْ على أملودِهَا ورْقا

وأرَّجَ الحقلَ من أنفاسِها عبقٌ

يشوقُ كلُّ جناحٍ نحوها خَفَقَا

تهفو إليها من الأنسامِ أجنحةٌ

منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَا سَرَقا

* * *

ووقعُ لحنكَ فى الأسحارِ أرخمُ من

وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ

قد نقَّط الزَّهَرَ المنضورَ سلسلهُ

وجادَ بالطلِّ أقوافَ الرياحينِ

يا منْ على صوتهِ فى الأفْقِ منسجماً

تصحو الأزاهرُ فى أفنانِها الغينِ

كلُّ البدائعِ مهما افتنَّ مبدعُها

لم تَعْدُ لحنَكَ فى صَوْغٍ وتلحينِ

* * *

قل لى : أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ

أم طائرٌ أنتَ فى الآفاقِ هيمانُ ؟

أىُّ الخواطرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ

يُشيعها منكَ فى الأرواحِ وجدانُ ؟

لم تشرئبُّ قلوبٌ من أضالعها

لغيرِ صَوْتِكَ أو تنصبُّ آذانُ

حديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ

من جانبِ اللّهِ أنغامٌ وألحانُ !

* * *

من أينَ تلك الأغانى أنتَ تُرسلُهَا ؟

من أىِّ مطَّرِدِ الينبوعِ مُنْسجِمِ ؟

من أىِّ ثائرةِ الأمواجِ زاخرةٍ ؟

أىِّ السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟

وأىِّ حبٍّ أليفٍ منكَ أو وطنٍ ؟

وأىِّ جهلٍ لما نلقاهُ من ألمِ ؟

* * *

وفى منامِكَ والآفــــاقُ حــــالمةٌ

وفى انتـبـاهكَ والظلمــاءُ إصــغـاءُ

لابدَّ من نبــأ للمـــوتِ تعـــرفـــهُ

وفى فـؤادكَ عنهُ اليــومَ أشــيــاءُ

لأنْتَ أعــمقُ فكراً فى حــقــائقــهِ

مما نراهُ ونحنُ اليـــومَ أحـــيـــاءُ

أو لا ! فكيفَ انســجامُ اللَّحنِ مطَّرداً

يُجـــريهِ من رائقِ البِلَّورِ لألاءُ ! ؟

* * *

إنا نـفـكِّرُ فـى مــــــاضٍ بلا أثَرٍ

ومُقــبلٍ من حـيـاةٍ كلهـا غــيبُ

ومـــســـتـــحلٍ نرجِّى برقَ ديمَتِهِ

وكلُّ مــا نرتجـيــهِ منهُ مــخــتلبُ

وكم لنا ضــحكاتٌ غـيـرُ صــادقـةٍ

ما لم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ

وإنَّ أشـهى الأغـانى فى مسـامعِنَا

ما سـالَ وهو حزينُ اللحنِ ، مكتئبُ !

* * *

هَبْنَا على رَغْمِ هذا ليسَ يَجمعُنَا

بالحقدِ أو كبرياءِ النَفْسِ أوهاقُ

فلا القلوبُ لدى البأساءِ جازعةٌ

ولا بهنَّ إذا رُوِّعنَ إشفاقُ

وإننا قد دَرَجْنا فى خَليقتِنَا

بلا دموعٍ تذرّيهنَّ آماقُ

فكيفَ كنا إذاً نلقاكَ فى فرحٍ !

أو يغمر الروحَ لحنٌ منه رَقْراقُ ! ؟

* * *

يا أعذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا

من كلِّ رائقِ أنغامٍ وألحانِ

ويا أعزَّ لنا من كلِّ ما جمعتْ

نفائسُ الكُتْبِ من دُرىٍّ تبيانِ

يا ما أحقَّ اقتدارا منكَ قدرتَهُ

بشاعرٍ لَبِقِ التصويرِ فنَّانِ

أنتَ المبرأُ فى حُبٍّ وعاطفةٍ

يا من تعاليتَ عن أرضٍ وإنسانِ

* * *

أمـــــا تُعلِّمنى مما يفـــــيضُ بهِ

غـناؤكَ الـعَذْبُ تـطراباً وتـحـنـانـا !

ذاكَ الـحنونُ الذى يُهـدى توافـقـهُ

إلىَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألـحــانـا !

ألستَ تُلهـمنى وحـيـاً يفـيضُ به

فـمى ، فَأمـلأُ قلبَ الكونِ إيمـانـا !

أشـدو فـيُلقـى إلىَّ الكونُ مِسـمـعـهُ

يُصـغى إلىَّ كمـا أصـغى لَكَ الآنا !

✍ ✍ ✍

## ١٦ - الملاّح التّائه

أيهـــا الملاّحُ قمْ واطوِ الشرّاعـــا
لِمَ نـطوى لُجّةَ اللّيـلِ سِرَاعــــــا
جَدِّفِ الآنَ بـــنـــا فـــى هِيـــنـــةٍ
وجِـهـةَ الشـاطىءِ سـيـراً واتِّبـاعـا
فَغَداً ، يا صـــاحــــبى ، تأخُذُنا
مــوجـةُ الأيَّام قــذفـاً واندفـاعـا
عَبَثـاً تقــفــو خُطى الماضى الذى
خِلْتَ أنَّ البـحــرَ واراهُ ابتــلاعــا
لم يكنْ غـــيـــرَ أويقـــاتِ هوىً
وقــفتْ عن دوْرَةِ الدهرِ انقطاعـــا
فـــتَمَهَّلْ ، تســـعـــدِ الرُّوحُ بما
وهِمَتْ ، أو تطربِ النفسُ سـمـاعـا
وَدَعِ الـليـلـةَ تمـضـى ، إنـهــــا
لم تكنْ أولَ مــــا ولّى وَضَاعــــا
ســوفَ يبـدو الفــجـرُ فى آثارها
ثمَّ يمـــضــى ، وَدَوَاليكَ تِبَاعــــا

هذهِ الأرضُ انتــــشتْ مما بهـــا

فَغَفَتْ تحلُم بالخلدِ خـــداعـــا

قـــد طَوَاها الليلُ حــتى أوشكتْ

من عـميقِ الصَمْتِ فيه أنْ تُراعـا

إنَّهُ الصـــــــمتُ الذى فى طيِّه

أسفرَ المجهولُ ، والمستورُ ذاعا

سَمِعَتْ فـــيــه هُتــافَ المنتـــهَى

من وراءِ الغــيبِ يُقـريهـا الوَدَاعـا

أيهـــا الأحـيــاءُ ، غنُّوا واطرَبوا

وانهـبـوا من غَفَلاتِ الدَّهرِ سـاعـا

* * *

آهِ ، مــــــا أروعَهـــــا من ليلةٍ

فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا

نَفَخَ الحـبُ بـهــــــا مـن روحِهِ

ورَمَى عن سرِّها الخـافى القناعـا

وَجَلا مـــن صُوَرِ الحُسْنِ لـــنـــا

عــبـــقـــرياً لَبِقَ الفنِّ صنَاعـــا

نفــحـــاتُ رَقَصَ البــحـــرُ لهـــا

وهفَا النجمُ خُفـوقـاً والتـمـاعـا

وسرى من جانبِ الأرضِ صدىً

حرَّكَ العُشْبَ حناناً واليَرَاعا

بَعَثَ الأحلامَ من هجعتِها

كسرايا الطَّيْرِ نُفِّرْنَ ارتياعا

قُمْنَ بالشاطىءِ من وادى الهوى

بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعا

أيها الهاجرُ عزَّ الملتقى

وأذبتَ القلب صدا وامتناعا

أدركِ التائهَ فى بحرِ الهوى

قَبْلَ أنْ يقتلَهُ الموجُ صراعا

وارعَ فى الدنيا طريداً شارداً

عنهُ ضاقتْ رقعةُ الأرضِ اتساعا

ضلَّ فى الليل سُراهُ ، ومَضَى

لا يَرى فى أفُقٍ منه شُعَاعا

يجتوى اللافحَ من حَرْقتهِ

وعذابٍ يُشعلُ الرُّوحَ التياعا

والأسى الخالدَ من ماضٍ عفَا

والهوى الثائرَ فى قلبٍ تداعى

فــاجــعلِ الـبــحــرَ أمــانــاً حــولَهُ

وامـلأِ السـهلَ سـلامـاً واليَفَاعـا[1]

وامــــــسـحِ الآنَ عـلـى آلامــــــهِ

بيـدِ الرفقِ التى تمحـو الدمَّـاعـا[2]

وَقُدِ الــفُلــكَ إلـــى بَرِّ الـــرِّضـــى

وانشُرِ الحبَّ على الفُلكِ شِراعـــا

✍ ✍ ✍

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدَمَّاع : كثير الدمع .

## ١٧ - راكبة الدّراجة

تمَهّلى فـــراشـــةَ الصّبـــاحِ
أسْرَفْتِ فـــى الـــغُدوّ والـــرّواحِ
مـــاذا ارتيـــادُ الطُّرُقِ الفِســاحِ
والوثبُ فـــوقَ العُشْبِ والصُفّاحِ
بـين الـرّوابـى الخُضْرِ والـبطـاحِ
بـالشّعَرِ المـهـــدّلِ الســـبّاحِ
كـالموجِ تحتَ العـاصفِ المجـتـاحِ
والـنهـــدِ وهـو مُطْلَقُ الســـراحِ
يخـــفقُ بين الصـــدرِ والوشـــاحِ
والســاقُ خَلْفَ الســاقِ فى كـفـاحِ
فى حَلْقَةٍ طاغـــيـــةِ الجـــمـــاحِ
تدورُ مـــثلُ البـــارقِ اللمّاحِ
تـــودُّ لـــو طـــارتْ مـــع الـــريـــاحِ
وحلَّقَتْ فى كـــبـــدِ الصُّراحِ
بلطفِ هذا الجـــســـدِ المـــراحِ
وخِفّةٍ فـى روحـكِ الصـــــداحِ

تكادُ تُغْنِى الطيـــرَ عن جَنَاحِ !

يا لـهَواءٍ عـــابثٍ مـــفـــراحِ

سكرانَ ، لا من خـمـرةِ الأقــداحِ

بَلْ من صبِـاكِ ، والصِّبا كـالرَّاحِ

يرفـعُ طرفَ الثـــوبَ فى مـــزاحِ

لا يَسْتَحـــى مـــن لائـــمٍ ولاحـــى

✍ ✍ ✍

## ١٨ - على حاجز السفينة

- حَنَتْ على حاجزِ السفينة

تـرنـو إلـى الـرَّغْوِ والـزَّبَـدْ

- كأنها الفتنةُ السجينة

تمضى بهـا لُجَّةُ الأبـدْ

- نَبَتْ بهـا ضَجَّةُ المكانِ

يزَينهـا الصَّمْتُ والجـلالُ

- والبحرُ من حولها أغانى

والسُّحْبُ والريحُ والجبـالُ

- ساحرةٌ وحدها تُطِلُّ

بِمـلْتَقَى النـورِ والظـلامِ

- لا تسـأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ

تَهـامَس الشُّهْبِ والغمـامِ

- تُصْغِى إلى الموجِ والرياحِ

فى مَعْزِلٍ شـاقَ كلَّ عَيـنْ

- كأنها نجمةُ الصباحِ

مُطِلَّةٌ من سـحـابتـيـنْ

- هفهافةُ الثوبِ فى بياضٍ

يكادُ عن روحــــهـــا يشفُّ

- لأىِّ ذكــرى وأىِّ مــاضٍ

يَسْرى بهــا خــاطرٌ ويَهــفــو ؟

- ومـــا وراءَ العُبـــاب تَبْغِى

وأىُّ ســـــرٍّ لـهـــا تَبـــدَّى

- وأىُّ لحن إليـــه تُصـــغى

بروحـــهـــا الحــالم استــبــدَّ ؟

- عـجـبتُ للبـحـرِ مـا عَرَاهُ

يـودُّ لـو مـسَّ نـاظريـهـــــا

- يتــاخمُ النَّجمَ فى عـــلاهُ

ويَنثنى جـــاثيـــاً لديهـــا

- وهائمٍ فى الفــضـــاءِ صَبٍّ

مُجنَّحٍ لا يَبـــينُ طيـــفـــا

- كم ودَّ لو - من ضَنَى وحُبٍّ

هَوَى على صَدرهـا وأغــــفى

- كـم بـثَّ مــن أنَّةٍ و ألْقَى

بهـــمْســـةٍ ضـــائعٍ صـــداها

- يا وَيحــهُ لا يَحـيـرُ نُطقـا

فكيفَ تُلْقِى له انتـــبــــاها ؟

- أنفـــاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِى

عليلةٌ خـــفْقُهـــا اضطرابُ

- كــــآهةٍ فـى فَمِ المُغَنِّى

جـــريحـــةٍ لَحنُهـــا العـــذابُ

- يدنو ، ويرتدُّ فى حـيـاءِ

يُجـــاذبُ الثـــوبَ والشَّعَرْ

- وكلمـــا كلَّ من عـيــاءِ

أثارهُ الوجـــدُ فـــاســـتـــعَر

- يضمُّها راعشاً ، ويمضى

مُبـــاعــداً ، وهو مـــا ابتـــعـــدْ

- كـأنَّهُ بالحنينِ يقـضـى

لُبـــانةَ الرُّوحِ و الجَســـدْ

- والقـمـرُ الطالعُ الصـغـيـرُ

أزاحَ عن وجـــهـــهِ السَّحـــابا

- وقـد جرى ضـوءه الغـريرُ

يســتـشـرفُ الأفقَ و العُبــابا

- المرحُ العابثُ الطروبُ
  لما دعا باسمهِ الشروقُ
- نادتْ به موجةٌ لعوبُ
  إِلىَّ .. يا أيّها المشوقُ
- طالَ على المنْتَأى طُروقى
  وطالَ مسراكَ فى السَّماءِ
- فَنَمْ على صدرىَ الخفوقِ
  واحْلُمْ بما شِئْتَ من هناءِ
- وأنْسِنى وحشةَ الليالى
  بقُبْلةٍ منكَ ، يا حبيبى
- لكنَّهُ مرَّ لا يبالى
  ولجَّ فى صمتهِ العجيبِ
- مذ أبْصَرَتْهُ انثنى ومرًّا
  قالتْ ، ومن دمعها مَسِيلُ :
- لأنتَ مثلُ الرجالِ طُرًّا
  يا أيُّها الخائنُ الجميلُ
- وهبتُكَ الغضَّ من شبابى
  سكرانَ من خمرِ أمسياتى

- فـأينَ تمضى على العُبـابِ

من صَوْتِ حُبّى وذكــــــرياتـى ؟

- ومن هـىَ الغــــادةُ التـى

تنسلُّ من مــــخــدعى إليـــهـــا

- أعندها مــــثلُ فــتنتى

أم أننـى أفْتَرِى علـيــــهــــا ؟

- إذهبْ إليـهـا ودعْ نمـامى

فــــديتُكَ ، اسْلَمْ علـى التـنـائـى

- إذْبَحْ على صـدرها غـرامى

وامــلأ لهـا الكأسَ من شــقـائى

- والْهُ مع الغـيـدِ والعـذارى

وغـــنِّ بـــالــكـــأسِ والـــوتـــرْ

- وانـقـعْ مـن الـغُلَّةِ الأوارا

واقـطف مـن اللَذةِ الـثمــــــرْ

- أبوكَ ، والطبعُ لا يحــولُ ،

وَرِثْتَهُ خِلْقَـــــةً و خَلْقـــــا

- يا أيهــــا القَلْبُ الملولُ

من قـــبــضـــتى لن تنالَ عِتْقـــا

- مُطاردٌ أنتَ باشـتـيـاقى

مــا جُبْتَ أرضــاً وجُزْتَ بحــرا

- مُقَيَّدٌ أنـتَ فـى وثـاقـى

وإنْ رأتْكَ العـــيــــونُ حُرًا

- لأنتَ مــهــمــا كَبُرتَ طِفْلِى

يا ابنَ الهـــــوى البكْرِ والألَمْ

- خُطاكَ مـسـبـوقـةٌ بظلِّى

وإنْ تــعــلَّقْتَ بــالــقِمَمْ

- سأحفظُ العَهدَ مِنْكَ دَوْما

وأقطَعُ العــمــرَ فى انتظارِكْ

- وسـوف تأوِى إلىَّ يومــا

تبكى ، وأبْكى إلى جــوارِكْ

- ضراعةٌ من عذابِ أنْثَى

مَشَتْ على المائجِ الغـضـوبِ !

- صغا لها الليلُ واستحثَّا

ســـواكنَ الريحِ للهُبــوبِ

- وحدَّقتْ فى الدُّجَى نجومُ

غَيْرَى ، تغامــزنَ بالخــبــرْ

- وغمغمتْ نجمةٌ رؤومٌ

أما يرى ضوءَهُ القمرْ !؟

- أما يرى ذلكَ الصَّبيَّا

يُؤَلِّبُ البحرَ والظلاما ؟

- فيا لَهُ فاتنا خَلِيًّا

يُزَوِّرُ العشقَ والغراما !

- كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلهْ

لم تَرْوِها عنه شهرزادُ

- وكم عناقٍ لهُ وقُبْلهْ

في كِذْبةٍ لفظُها مُعادُ

- فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حسِّهِ

مفاتنَ الناسِ والطبيعة

- مُردِّداً في قرارِ نفسهْ

ما أبشعَ الغيرةَ الوضيعة ؟

- وارتعشَ الضوءُ ثم أضفَى

من حولِهِ الصفوَ والسَكينَة

- وابتسمتْ نفسُهُ فألْقَى

خطاهُ في جانبِ السفينَة

- فـراعَهُ ذلكَ الجـمـالُ

جـمـالُهـا الصَّامتُ الحـزينُ

- فشـاقَهُ الشِّعرُ و الخيـالُ

وهـزَّهُ الـوجـــدُ والحـنـينُ

- فـقـالَ : يا روعـةَ المسـاءِ

وفِتنةَ اللُّبِّ و البـصـر

- قـد آذنَ الليلُ بانقـضـاءِ

وأنتِ مـوصـولةُ السـهـر

- أيَّتُهـا المَلْكَةُ الكسـيـرةْ

أيتُهـا الربَّةُ الخـجـولَة

- أيتُهـا الطفلةُ الكبـيـرة

لن تَبْرَحى عـالَم الطفـولَةْ !

- أعلمُ مـا تكتـمـينَ عنِّى

وإنْ تلـثَّمْتِ بالخـفـاءِ

- خـمسُ ليـالٍ وأنتِ منى

مـتـبـوعـةُ الظلِّ باشـتـهـائى

- قـد كنتُ أزْهَى بما عـرفتُ

من فِتَنِ الحـسـنِ والدلالِ

● لكنَّنى الليلةَ اكتشفتُ
أروعَ ما شِمْتُ من جمالِ
● عشقتُ فيكِ الهوى و ذُلَّهْ
فى زَهْوَةِ الحسنِ والشبابِ
● وذلكَ الصمتَ ، ما أجلَّهْ
فى عالمِ اللَّغْوِ والكِذابِ
● هاربةٌ أنتِ ، يا فتاتى
من ثورةِ الشكِّ والرِّيَبْ
● هَرَبْتِ من ضجَّةِ الحَياةِ
فكيفَ من نفسكِ الهَرَبْ ؟ !
● بها ابدئى أولاً فسلِّى
وردكِ من شوكهِ الأثيمِ
● لا البُعْدُ يجدى و لا التسلِّى
كطعْنكِ الغدْرِ فى الصميمِ
● منيهةٌ لم يَطُلْ مَداها
تروعُ بالصمتِ و الشحوبِ
● لم يبلغِ الليلُ مُنتهاها
إلاَّ على روْعَةِ المغيبِ

- والتفتَ الضوءُ للوداعِ
يهمسُ فى رِقةٍ و وجدِ
- يا ربةَّ الحسنِ لا تُراعِى
فلْتَرْعَكِ الكائناتُ بعدى
- يا ليلُ ، يا موجُ ، يا رياحُ
أيتُها السُّحْبُ و الظلالُ
- أيتها الغُورُ و البِطاحُ
أيتها الشهبُ و الجبالُ
- فى الجوِّ ، فى الماءِ ، فى الثرى
صونى لها العهدَ والودادا
- رُدِّى على عينها الكرى
وابْعِدِى الفِكْرَ و السهادا
- وانقذيها مِنَ الجوى
يا عاشقاتى على الزَّمانِ !
- بكلِّ ما فيكِ من قُوَى
وكلِّ ما فىَّ من حنان ! !

✍ ✍ ✍

# ١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ فى الظلامِ ولم تَزَلْ

عـــيناىَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عـــابرِ

ويطيــرُ سـمـعى صــوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ

فى الأفقِ تخـفقُ عن جَناحىْ طائرِ

وترفُّ روحى فــوقَ أنفــاسِ الرُّبا

فلعلَّهـــا نَفَسُ الحــبــيبِ الزائرِ

ويَخِفُّ قلبى إِثرَ كلِّ شُعــــاعــةٍ

فى الليلِ تومضُ عن شـهابٍ غـائرِ

فلـعلَّ مـن لَمَحَاتِ ثغـــــركَ بـارقٌ

ولعلَّه وَضَحُ الجـبـينِ الناضــرِ

لـيلٌ مـن الأوهـامِ طالَ سُهـــــادُه

بين الجوَى المضنى وهجسِ الخاطرِ

حـــتى إذا هَتَفَتْ بمقـــدمِكَ المُنى

وأصــخْتُ أسـترعى انتـباهةَ حـائرِ

وسَرى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى

نشـوانَ يعبقُ مـن شذاكَ العـاطرِ

وترنَّم الوادى بسلسلِ مـــائِهِ

وتَلَتْ حمـائمُهُ نشيدَ الصـافرِ

وأطلَّتِ الأزهارُ من ورَقــاتهـــا

حيـرى تَعـجَّبُ للربيعِ البـاكـرِ

وَجَرَى شُعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصاً

طَرِباً على المرجِ النضـيـرِ الزاهرِ

وتجلتِ الدنيـا كـأبهجِ مـا رأتْ

عـينٌ وصـوَّرها خـيـالُ الشـاعـرِ

ومـضتْ تُكذِّبنى الظنونُ فـأنثنى

مُتـســمِّعـاً دقـاتِ قلبى الثـائرِ

أقْبلْتَ بـالبـسـمـاتِ تملأُ خـاطرى

سـحـراً وأمـلأُ من جـمـالكَ ناظرى

وأظلَّنا الصـمتُ الرهيبُ ونحنُ فى

شكٍ من الدنيـا وحلمٍ ســاحــرِ

حتى إذا حـانَ الرحـيلُ هتـفتَ بى

فـوقـفتُ واستَبَقَتْ خُطاكَ نواظرى

وصــرختُ بالليلِ المودِّعِ باكـيـاً

ويداكَ تمسكُ بى وأنتَ مـغــادرى

يا ليتنا لم نَصْحُ منكَ وليتَها

ما أعجلتكَ رَحَى الزمانِ الدائرِ

* * *

ولقد أتتْ بعدُ الليالى وانقضتْ

وكأننا فى الدهرِ لم نتزاورِ

بُدِّلْتُ من عَطْفٍ لديكَ و رقةٍ

بحنينِ مهجورٍ وقسوةِ هاجرِ

وكأننى ما كنتُ إلفَكَ فى الصبَّا

يوماً ولا كنتَ الحياةَ مشاطرى

ونسيتَ أنتَ ، وما نسيتُ ، وإننى

لأعيشُ بالذكرى .. لعلَّك ذاكرى !!

## ٢٠ - البحر والقمر

تَساءَلَ الماءُ فيكِ والشَّجرُ
من أين يا « كانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟
البحرُ والحورُ فيهِ سابحةٌ
رُؤًى بها باتَ يَحْلُمُ القَمَرُ !
أطلَّ والضوءُ راقصٌ غَزِلٌ
دعاهُ قلبٌ ، وشاقَهُ بَصَرُ
يهمسُ فيما يراهُ من فِتَنٍ
آلهةٌ هؤلاءِ أم بَشَرُ ؟
يقفزُ من لجةٍ إلى حَجَرٍ
كأنما مَسَّ روحَهُ الضَّجَرُ
معربداً لا يريمُ سابحةً
إلاّ ومنهُ بثغرها أثَرُ
من كلِّ حوّاءَ مثلما خُلِقَتْ
يعجبُ منها الحرير والوَبَرُ
أَلْقَتْهُ عنها رقائقاً ونَضَتْ
جسماً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

فى حـــانةٍ مـــا علَتْ بهـــا عُمُدٌ

ولا اســـتـــوى فى بنائهـــا حَجَرُ

جُدرانهـــا الماءُ ، والســـمـــاءُ لهـــا

ســقــيــفــةٌ ، والنســائمُ السُّتُرُ

خـــمَّارُها مُنْشِدٌ ، وســـامـــرُها

حـــورٌ تلوَّى ، وفـــتـــيـــةٌ سكروا

لم تَبْقَ فى الشطِّ منهـــمـــو قَدَمٌ

قـد خوَّضـوا فى العـبـاب وانتثـروا

وشَيَّعـوا العـقلَ حـينمـا شـربوا

وَوَدَّعـوا القلبَ حـيـثـمـا نظروا

والسـابحـاتُ الحسـانُ حـولهمو

كـــأنهنَّ الـنجـــومُ و الـزَّهَرُ

يزيدُ ســـيـــقـــانَهنَّ من بَهَجٍ

لونٌ عـــجـيـبُ الرُّواءِ مـــبـتَكَرُ

يضىءُ ورداً وخـــمـــرةً وسنىً

ذوبٌ مـن المغـــريـات مُعْتَصَرُ

تـغـــايـر المـوجُ إذ طلعـنَ بـه

وثارَ مـن حـــولـهنَّ يشـــتَجِرُ

بهنَ يلتفُّ مُرْتقىً ويُرَى

ينشقُّ عنهنَّ فيه مُنْحَدَرُ

منفتلات قدودُهُنَّ كما

ينفتل الغصنُ آده الثمرُ

مُلوِّحات بأذْرُعٍ عَجَبٍ

تحذرهنَّ النهودُ و الشَّعرُ

والضوءُ فوق الخُصور منهمرٌ

والماءُ تحت الصدور مستعرُ

مازلْنَ والبحر في تَوَثُّبِه

يُرْغِي كما راع قلْبَهُ خطرُ

قد جاوز الليلُ نِصْفَهُ فمتى

توَمٌ فيه أصدافها الدُّرَرُ

فليصخبِ البحرُ ولتئنَّ به

رمالُه ، وليثرثرِ الشجَرُ

ولتعصفِ الريحُ فوق مائجه

ولينبجس من غمامه المَطَرُ

أقسمنَ لا ينتحين شاطئَهُ

وإنْ تَرامَى بمائه الشررُ

حـــــتى يُرَى وهـو فــــــضَةٌ ذَهَبٌ

تمـازجَ الليلُ فــــيــــه والسَّحَرُ !

✍ ✍ ✍

## ٢١ - حلم ليلة

إذَا ارتقى البـدرُ صـفـحـةَ النهـرِ

وضـمَّنا فـيـهِ زورقٌ يجـرى

وداعـبتْ نَسـمـةٌ من العطرِ

علـى مُحـيَّاكِ خُصلَةَ الشَعـرِ

حَسَوْتُهـا قـبلةُ من الجَمـرِ

جُنَّ جُنونـى لـهـا ومـا أدرى

أىّ مـعـانى الفـتـونِ والسِّحـرِ

ثغـرُك أوحى بـهـا إلى ثغـرى !

حلُمُ مـسـاءٍ أتاحـهُ دهرى

غَرَّدَ فـيـهِ الحـبـيسُ فى صـدرى

✍ ✍ ✍

## ٢٢ - إعتراف

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسى
وتَوَلَّعتُ بالحسانِ لأنِّى مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ
وتَوَحَّدتُ فى الهوى ثُمَّ أشركتُ على حالتىْ رجاءٍ ويأسِ
وتَبذَّلتُ فى غرامى فلم أحبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسى
فبِرُوحِى أعيشُ فى عالمِ الفنِّ طليقاً والطهرُ يملأُ حِسِّى
تائهاً فى بحارِهِ لستُ أدرى ، لِمَ أزْجى الشراعَ أو فيمَ أرْسى
لِىَ قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ نَمَتْها السماءُ من كلِّ قَبْسِ
هو قيثارتى عليها أغنِّى وعليها وَحْدِى أغَنِّى لنفسى
لِى إليها فى خَلْوَتى همساتٌ أنْطَقَتْها بكلِّ رائعِ جَرْسِ

* * *

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتى وهَجُ النَّارِ فى عواصفَ خُرْسِ
ووسادٍ جَرَتْ بهِ عبراتى ضِحكُ يومى منه وإطراقُ أمسى
أيُّهذِى الخدورُ أنوارُكِ الحمراءُ كم أشْعَلَتْ ليالىَ أنسى
أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سوى ذلكَ الرَّمادِ براسى !

## ٢٣ - أندلسية

حسنُكِ النشوانُ والكأسُ الرويَّةْ

جدَّدا عهد شبابى فسكَرْتُ

حلْمُ أيامٍ ولَيْلاتٍ وضيَّةْ

عَبَرَتْ بى فى حياتى وعبرتُ

أنا سكرانُ وفى الكأسِ بقيَّةْ

أىُّ خمرٍ مَنْ جَنَى الخلد عصرتُ؟

آهِ ، هاتى قرِّبى الكأس إليَّهْ

واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةْ

* * *

لا تقولى أىُّ صوتٍ مُلْهِمِ

قَادَ روحينا ، فجئنا ، والتقيْنا

دَمُكِ المشبوبُ فيه من دمى

روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا

أخْتَ روحى ! قرِّبيها من فمى

إنْ شَربنا أو طربنا ما علينا

آهِ هاتيــهــا من الحــسنِ جَنِيَّة
واســقْيــهــا أنتِ ، يا أندلســيَّة

* * *

كـــانتِ النظرةُ أولى نظرتينْ
ثُمَّ صــــارَتْ لفظةً مــــا بَيْنَنا
والهـوى يَعْجبُ مِنْ مـغـتـرِبَيْنْ
لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قـــالتْ أنا
وَسَبَــحْنا فـوقَ وادٍ من لُجـينْ
تَحْتَ أفقٍ من غــمــامٍ وسَنَى
أتملأُهـا سِمـــاتٍ عــــربيـــــة
وأنادى أنتِ ، يا أندلســــيـــة

* * *

صِحْتُ يا للشَّمسِ فى ظلِّ المغيبِ
تـلـثـمُ الـزَّهْرَ وأوراقَ الـشَّجَرُ
خِلْتُهــا بين مــحبٍّ وحــبـيبِ
قُبْلَةً عــــنــــدَ ودَاعٍ وَ سَفَرُ
فـانثنتْ تنظرُ للوادى العـجـيبِ
صُوَراً يَذْهَبْنَ فــــى إثْرِ صُوَر

وبسمعي همسةٌ منها شَجِية
وبروحي أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ونزلنا عِنْدَ شطٍّ من نُضارِ
وانتحينا خلوةً بعد زحام
قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ :
ألَكِ الليلةَ في لحنٍ و جامٍ ؟
ما على مغتربيْ أهْلٍ ودارِ
إنْ أدارا ها هنا كأس مدامٍ ؟
آهِ هاتيها كخدَّيكِ نقيَّةْ
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةْ

* * *

واحتوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطربِ
حانةٌ مثلُ أساطيرِ الزَّمانِ
صَوَّرتْ جدرانُها بِالذَّهبِ
فِتَنَ العشق وأهواءَ الحسانِ
قالتِ : اشربْ قُلْتُ لبَّيكِ اشربي
مِلء كأسين فإنَّا ظامئانِ

خـــمـــرةٌ رومـــيـــةٌ أو بابليّهْ

إسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيةْ

* * *

هتـــفتْ بى ويداها فى يدى

تدفعُ الكأسَ بإغـــراءٍ وعُجْبِ

أىُّ قـــيـــثـــارٍ شـــجىٍّ غَرِدِ

خِلْتُهُ ينطقُ عَنْ أســرار قلبى !

قلتُ طِفلٌ من قـــديمِ الأبدِ

يمـزُجُ الألحـانَ مِن خَمْرٍ وحُبٍّ

ملءُ كـــأسٍ فى يديهِ ذهبـــيَّةْ

فـاسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيَّةْ

* * *

ومـــضـى الليلُ ونادى بالرواحِ

كلُّ خـــالٍ وتعـــايا كلُّ صَبٍّ

وخـبـا المصـبـاحُ إلاَّ كـأسَ راحِ

نورُهُ مـــا بين إيمـــاضٍ ووثبِ

قـد تحـدَّى وهْجُهُ ضـوءَ الصبـاحِ

فَبَقَيْنا حـــولهُ جَنْبـــاً لِجَنْبِ

نتساقاها على الفجرِ نديَّةْ
واغنّى أنت ، يا أندلسيَّةْ

* * *

يا عروسَ الغربِ ، يا أندلسيَّةْ
بَعُدَتْ داركِ و الصيفُ دنا
أينَ أحلامُ اللّيالى القَمرِيَّةْ
والبحيراتُ مُطيفاتٌ بِنا ؟
أذكرى بينَ الكؤوسِ الذّهبيّةْ
حانةٌ ، يا ليتها دامَتْ لَنَا
حين أدعوكِ صباحاً وعشيَّةْ
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةْ

✍ ✍ ✍

## ٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةٌ أهْدَتِ الخـــيـــالَ إلينا

ودعَتْنا لموعـــدٍ فـــالتـــقـــينا

ههنا تحتَ ظُلَّةِ الغـابةِ الشـجـرا

ءِ سِرْنا ، والفـــجـــرُ يحنو علينا

وقَطَفْنـا مـن زَهْرِهـا ، وانـثـنـيْنا

فَجَنَيْنا تُفَّاحـــهـــا بيـــدينا

وَمَرِحْنا بهـــا ســـحـــابةَ يومٍ

وبأشـجـارها نقـشْنا اسـمـينا

* * *

ههنا يا ابنةَ البـحـيـراتِ والأوديةِ الخُضْرِ والرُّبَى والجـبـالِ

صَدَحَ الحبُّ بالنشـيـد فلبَّينا نداءَ الهـوى وصـوتَ الخـيـالِ

وَتَبِعْنا على خُطَى الفجرِ موسيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ

وسـمـعنا حـفيفَ أجنحـةٍ تهـفـو بهـا الريحُ من كـهـوفِ الليـالى

* * *

قُلْتِ لى والحـيـاءُ يَصْبُغُ خـدَّيْكِ : أنارٌ تمشى بهـا أمْ دمـاءُ ؟

مِلءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سكَارى وصـبوةٌ واشـتهـاءُ

وعلى ثغـرِكَ المشـوقِ ابتـسـامُ

ضَرَّجَتْهُ الأشـواقُ والأهـواءُ

أوَ حـقـاً دُنيـاكَ زهرٌ وخـمـرٌ

وغـوانٍ فـواتـنٌ وَ غنـاءُ ؟

* * *

قُلْتُ : يا فـتنةَ الصِّبـا حَفِلَتْ دنيـاكِ بالحبِّ والمُنَى والأغـانى

مـا أثـارتْ حـرارةَ الجَسَدِ المشـتـاقِ إلاَّ مـرارةُ الحـرمـانِ

إنَّ أجـسـادنا مـعـابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فـتَّانِ

أنا أهوى روحـيَّةَ العـالم المنظورِ لكنْ بالجـسمِ والوجـدانِ

* * *

مـا تكونُ الحـيـاةُ لو أنكرَ الأحـيـاءُ فـيـهـا طبـائعَ الأشـيـاءِ !

أنا أهواكِ كـالفـراشـةِ صـاغـتـهـا زهورُ الثرى وكفُّ الضـيـاءِ

أنا أهـواكِ فِتْنَةً صـاغـهـا المثَّالُ من طينةٍ ومن إغـراءِ

أنا أهـواكِ بدْعـةَ الخلد صِيـغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حـوَّاءِ

* * *

أنـا أهـواكِ مـن أثـامٍ وَطُهْرٍ

حلُمَ إغْفـاءَتى وصَحْوَ غـرامى

أنا أهواكَ تُبْدعــينَ يقــينى من نســيجِ الظُّنونِ والأوهامِ
أنا أهواكِ دِفْءَ قلبى ويَنْبُوعَ اشــتــهــائى ، وشِرّتى ، وغرامِى
وحنــانــاً مُجَــــسَّداً إنْ طوانى الليلُ وسدَّتْ صَدْرَهُ الآمى

* * *

يا لَلطريقِ الضــيِّقِ الصَّاعــدِ بين ربوتينْ
كــأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطىً لعــاشــقــينْ
الشَّجَراتُ حــولهُ كــأنهــا أهدابُ عَيْنْ
كـعــهــدِهِ بصــاحبِ الدَّارِ ظليلَ الجــانبــينْ
نَبَّأهُ الــصَّدَى المــرنُّ عــن قُدومِ زائــريــنْ
فى فــجــرِ يومٍ مــاطرٍ شَقَّ حــجــابَ ديمــتــينْ
كــأنما يَنْزِلُ منهُ الوحىُ حَبَّاتِ لجــينْ
فــانتــبــهتْ خــمــيلةٌ تهــزُّ عُشَّ طائرينْ
وشــاعَ فى الغــابةِ هَمْسٌ من شــفــاهِ زهرتين
مَنِ الغــريبــانِ هُنا ؟ ومــا سرُاهمــا ، وأينْ ! ؟
مــاذا قــدومــهُمــا والغــيثُ مِدرارُ
لا صــاحبُ الدَّارِ طلاَّعٌ ولا الدَّارُ
هذى البحيرةُ وَسْنَى ، حلْمُ ليلتها
لمَّا تُفِقْ منهُ شطئــانٌ وأغــوارُ

والأرضُ تحتَ سحابِ الماءِ أخيلةٌ
مما يُصوِّرُهُ عُشْبٌ ونُوَّارُ
والصبحُ فى مهدِهِ الشرقىِّ ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغَيْمِ أستارُ
حتَّى الجبالُ فما لاحتْ لها قِمَمٌ
ولا شدا لرُعاةِ الضأنِ مزمارُ
فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ
لوَقْعِ خطوِهِما والأرضُ أبصارُ !
أعادَ منْ زَمَنِ الأشباحِ سامِرُهُ
فالليلُ والغابُ أشباحٌ وأسْمارُ ؟
أمِ البحيرةُ جِنِّياتُها طلعتْ
فهبَّ موجٌ يناديها وتيَّارُ !
أمْ راصداً كوكبٍ ضلاًّ سبيلهما
لمَّا خَبَتْ من نجومِ اللَّيلِ أنوارُ
أمْ صاحبا سَفَرٍ مالَ الضنَّى بهما
حَوَتْهما جَنَّةٌ للفنِّ معْطارُ
أم عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟
وهل مَعَ الفجرِ عُشَّاقٌ وزوَّارُ ؟ !

وأمسكَ الغيثُ كما لو كانَ يُصغى مثلَنَا

واعتنقتْ حتى وُرَيْقاتُ الغصونِ حولَنَا

كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصُنَا

وانبعثَ اللحنُ الشجيُّ من هنا ومن هنا

يثورُ فى إيقاعهِ قيثارةً وأرْغُنَا

كأنَّ جِناً فى السماءِ يُشْعلونَ الفِتنَا

كأنَّ أرباباً بها يُحاكمونَ الزَّمَنَا

يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرفُ ما هجْتَ بنَا

ألفجرُ ؟ أم ثارتْ على الشمس بوارقُ السَّنى ؟

مَالَكَ قد غَنَّيتَهُ هذا النشيدَ المحزنَا

غَنَّيْتَهُ آلهةً أمْ أنتَ غنَّيْتَ لنا ؟

ما ذلكَ الصوتُ شاجى اللحنِ سَحَّارُ

يُجْرِيهِ نبعٌ من الإلهامِ زَخَّارُ

فيه تَنَفُّسُ فوقَ السُّحبِ آلهةٌ

وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثُوَّارُ

له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ

خَمْرٌ أباريقُها شتَّى وأثمارُ

أشتفُّهُ وأنادى كلَّ ناحيةٍ

مَنِ المُغَنِّى وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

السـمـفـونيَّة هذى ! أم صـدى حُلُمِ
كـمـا تَجـاوبُ خلفَ الليلِ أطيـارُ !

أعـادَ للمِعْزَفِ المهـجـورِ صـاحـبُهُ
فـــعـــربدتْ فى يديهِ منهُ أوتارُ !

أظَلُّ أصْغى ومـا من شُرْفـةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِتـاجَ البـــــابِ ديَّارُ

حتى الحديقةُ لَفَّتْ كوخَ حارسـها
بصـمـتـهـا ، فـهـمـا نَبْتٌ وأحـجـارُ

تواضـعتْ بجـلال الفنِّ مـا ارتفـعتْ
مـثلَ البـروجِ لـهـا فى الجـوِّ أسْوارُ

تُصْغى إلـى هَمَسَاتِ الريحِ شـيِّقـةً
كـأنما هـمـسـاتُ الريحِ أخـبـارُ !

هنيـــهـــةً ، ثمَّ ســـمـــعنا هـاتفــاً مـــردِّدَا
يقـولُ : قُمْ « يا سِجْفـريدُ » ، فـالصَّبـاحُ قد بدا
عـــرائسُ الوادى ألَمْ تضـــربْ لـهنَّ مـــوعـــدا ؟
مـاذا ! قُمِ انفضِ الكَرَى ، ونَمْ كـمـا شـئتَ غـدا
واخطرْ علـى الغـــابةِ منضـــورَ الصِّبـــا مُخلَّدا
خُذْ سـيـفكَ السـحـرىَّ صِيغَ جـوهراً وعـســجـدا

قـــد لَقِيَ التنِّينُ منه فى العـــشـــيَّةِ الرَّدَى

صـــــوتٌ مـعَ الريحِ سَرَى .. ، وللسكونِ أخلدا

فـأمْسَكَتْ صـاحـبـتى يدى وحـاطتْ بى يدا

تقـولُ : لم أسـمعْ كـهـذا اللحن أو هـذا الصَّدَى

قـلتُ : ولا بمـثـلـه شـــــادٍ علـى الدهـرِ شَدَا

قـد باحَ بالنُّغَمِ الموعـودِ قـيـثـارُ

فـالفـجـرُ أحـلامُ عُشَّاقٍ وأسـرارُ

صـــــحـــا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرُها

موجٌ على الشاطىء الصخرىِّ ثرثارُ

وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً

على البُحـيـرة أعـشـابٌ وأزهارُ

تُسـائلُ الماءَ : هل غَنَّتْهُ أو عَبَـرتْ

شُهْبٌ بِه مـسـتـحـماتٌ وأقـمـارُ ؟

يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغيةٌ

فأينَ من « سِجِفْرِيدَ » السيفُ والغارُ ؟

مـا زالَ فوقَ ندىً العشبِ مضجعُهُ

وَمِنْ يديه على الأغـــصـــانِ آثارُ

هذا النشيدُ ، نشيدُ الحبِّ ، تَعزِفُهُ

له عـــرائسُ ، مِثْلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتَــهنَّ من الأنغــام أجنحــةً
هـزيـزهـنَّ مَعَ الأفــــــلاكِ دوَّارُ
فى صــدرِ قـيـثـارةٍ أودعْتَهُ نَغَمـاً
مِزاجُهُ الماءُ والإعــصــارُ والنارُ
تُفْضِى بما شئْتَ من أسرارِ عالمها
فــيــهِ ليــالٍ ، وأيامٌ ، وأقــدارُ
حـتى الطبـيـعـةُ من ناسٍ وآلـهـةٍ
تمازجتْ فـهىَ ألحـانٌ وأشـعـارٌ !

✍ ✍ ✍

## ٢٥ - اللّه والشاعر

● لا تفـــزعي ، يا أرضُ ، لا تَفْرقي
مـن شَبَحٍ تحـتَ الـدُّجى عــــابرِ
مــــا هـوَ إلاّ آدمـيٌّ شـــقِي
ســـمَّوْهُ بين النـاسِ بالـشـــاعـــرِ

● حنانَكِ الآنَ ، فـــلا تُنكري
ســـبـيلَهُ في ليلكِ العـــابسِ
ولا تُضلِّيـــــهِ ، ولا تـنْفـــري
مِنْ ذلكَ المســتـصرخِ البـــائسِ

● مُـدِّي لعـينيـهِ الـرِّحـابَ الفِسـاح
ورقــرقي الأضــواءَ في جـــفنـهِ
وأمــسكي ، يا أرضُ ، عـصْفَ الرياحْ
والـرَّاعــــدَ المُنـصـبَّ فـي أذنـهِ

● أنـتِ لـــهُ ، يـــا أرضُ ، أمٌّ رؤوم
فـــأشْهـــدِي الكونَ علـى شِقْوَتِهْ
وردِّدي شـكـواهُ بـينَ الـنجـــومْ
فـــهـــوَ ابنُكِ الإنســانُ فـي حَيْرتهْ

● مـــا هـوَ إلاَّ صـــوتُكِ المُرْسَلُ
وروحُكِ المســـتـــعـــبَدُ المُرْهَقُ
قـــــد آدَهُ الـدهـرُ بمـا يَحـــــمِلُ
فـــجـــــاءَ عنْ آلامـــــهِ يَنطِقُ ؟

● طغَى الأسـى الدّاوي على صـــوتِهِ
يـا لـلـصَدَى مـن قـلـبـــــهِ النّاطـقِ
مـــــضـى يبثُّ الدهـرَ فـي خـــــفْتِهِ
شـكـايـةَ الخَلْقِ إلـى الخـــــــالـقِ

● حـنانـكَ اللـهمَّ ، لا تـغـــضـبِ
أنتَ الجـــمـيـلُ الصـــفـحِ ، جمُّ الحنانْ
مـــــــا كـنـتُ فـي شـكـوايَ بـالـمـذنـبِ
ومـنـكَ ، يـاربِّ ، أخـــــذتُ الأمـــــانْ

● مـــا أنا بالزاري ولا الحـــاقــدِ
لكنني الشّاكي شـــــقــــاءَ البـــشَرْ
أفنيتُ عـــمـــري في الأسى الخـــالدِ
فـــجـــئتُ أســتـــوحـــيكَ لُطْفَ القـــدَرْ

● تمـرَّدتْ روحـي على هـيكـلـي
وهـيكـلُ الجـــســمِ كـــــمـــــا تعلمُ

ذاكَ الضعيفُ الرأيِ لم يفعلِ
إلاّ بما يوحي إليهِ الدمُ !

- يَعرُقُ حدُّ السّيْفِ من لحمهِ
ويحطمُ الصفّوانُ بنيانَهُ
وينخرُ الجرثومُ في عظمهِ
ومنهُ يُنْمي القبرُ ديدانَهُ !

- ما هوَ إلاّ كومةٌ من هباءْ
تمحقهُ اللمسةُ من غَضبتكْ
فكيفَ يثني الروحَ عما تَشاءْ ؟
وكيف يقوي ؟ وَهْيَ من قدرتِكْ ؟

- يا للشقيِّ القلب كمْ سامَهُ
توهُّم النعمةِ ما لا يُطيقْ
يُريدُ أنْ يُقنعَ أوهامَهُ
بأنّهُ ذاكَ الخليُّ الطليقُ

- هأنذا أرفعُ آلامَهُ
إلى سماءِ المنقذِ الأعظمِ
أنا الذي تُرسلُ أنغامَهُ
قيثارةُ القلب ، وناي الفمِ

● من عبراتي صُغتُ هذا المقالْ
ومن لهيبِ الروحِ هذا القَلَمْ
ملأتُ منهُ صفحاتِ الليالْ
فَضُمِّنَتْ كلُّ معاني الألمْ

● أنا الذي قدَّسْتَ أحزانَهُ
ألشَّاعرُ الباكي شقاءَ البشَرْ
فَجِّرْتَ بالرحمةِ ألحانَهُ
فاملأ بها ، ياربِّ ، قلبَ القدَرْ !

● ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونِه
إلاَّ يدُ الرحمةِ من ربِّهِ
مُعَزِّيَ العالمِ في حزنِه
وحاملُ الآلامِ عنْ قلبِه

● عزاؤهُ شعرٌ بهِ أهْزَجُ
في نَغَمٍ مستعذَبٍ ساحرِ
ما يَحْزَنُ العالَمُ أو يُبهجُ
إلاَّ على قيثارةِ الشاعرِ

● ياربِّ ، ما أشقيتني في الوجود
إلاَّ بقلبي : ليتهُ لم يَكُنْ

فـي المـثـل الأعـلـى وحُبِّ الخـلـودْ
حـمّلـتـهُ العبءَ الذي لم يَهُنْ

- خلقـتـهُ قلبـاً رقـيقَ الشّغَافْ
يهـيمُ بالنورِ وَيَهْوى الجـمـالْ
حلَتْ لَهُ النجـوى ولذَّ الطواف
بعـالمِ الحسنِ ودنيا الخـيالْ

- بَعَثْتَهُ طيـراً خـفـوقَ الجناحْ
عـلـى جنـانٍ ذاتِ ظـلٍّ ومـاءْ
أطلقـتـهُ فـيـهـا قُبَيْلَ الصـبـاحْ
وقلتَ : غنِّ الأرضَ لحنَ السـمـاءْ

- فـهـامَ في آفـاقـهـا الواسِعَة
ألنُّورُ يـهـفـو حـولَهُ والنَّدى
مُصـفِّقـاً للصَّحْوَةِ السـاطعَةْ
ومُنشِداً مـا شـاءَ أنْ يُنشـدا

- إنْ جـاءَ صـيفٌ أو تجلّى ربيعْ
حـيّاهُ منهُ عـبـقـريُّ الغِناءْ
وكم خـريفٍ في نشـيـدٍ بديعْ
تظلُّ تَرويهِ ليـالي الشـتـاءْ

- قيثارةٌ تصدرُ في فنِّها
عن عالمِ السِّحرِ ودنيا الخفاءْ
على الصَّدَى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءْ

- مَشتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرة
كأنَّما ترقُص أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمرة !

- من قلبِه أسلَمْتَ أوتارَها
فقلبُهُ يخفقُ في كفِّهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه ، فهيَ اللحنُ من عزفِهِ

- ذاتَ صباحٍ طارَ لا يُمْهِلُ
والأرضُ سكرى من عبيرِ الزهورْ
على حصاها رنَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورْ

- ما كانَ يدري قبلَ أن ينظُراَ
ما خَبَأتْهُ النظرةُ العاجلة

مـــــا أبدعَ الحلمَ الذي صـــــوَّرَا
لوْ لَمْ تَشُبْهُ اليـــــقْظَةُ القـــــاتلة !

- مــرَّ بنهــرٍ دافــقٍ سلســبيلْ
تهــفــو القــمَارى[1] حــولَهُ شــاديَهْ
في ضــفــتــيــهِ باســقــاتُ النخــيلْ
ترعى الشــيـــاهُ تحــتَهـــا ثاغيَة

- فــهــاجـتِ النظرةُ ممــا رأى
في قلبـــهِ الســـحـــرَ وفي عـــينهِ
الكونُ يبـــدو وادعـــاً هـانئـــاً
كــــأنهُ الفــــــردوسُ فـي أمـنـهِ

- فظلَّ في التـفكيـر مـسـتـغـرقـاً
من فـــتنةِ الدنيـــا ومِنْ ســـحـــرِها
مـــا كـــانَ إلاَّ ريثـــمـــاً حـــدَّقـــا
حــــتى جلَتْ دنيـــاهُ عن ســــرِّها

- رأى بعــينيــهِ الذي لــم يــرَهْ
الذئبَ ، والشــاةَ ، وحــربَ البــقــاءَ

---

(١) القُمْرِيُّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مـــــا عَرَفَ القـــــتلَ ولا أبصــــرهْ
ولا رأى مـن قَبْلُ لـونَ الـدمــــــاءْ !

- مـــــا هـى إلاّ صـرَخَاتُ الفـزَعْ
وصـــيـــحــةُ المقــتـــولِ والقـــاتلِ
قـــدِ انقـــضى الأمـــرُ كـــأنْ لمْ يَقَعْ
وضـــاعَ صـــوتُ الحقِّ في البـــاطلِ

- وبعـدَ ســاعـاتٍ يُوَلّي النهــارْ
ويقـــــبلُ الليلُ ، ومـــــا يعلمُ !!
ســـيلبثُ الســـرُّ وراءَ الســتـــارْ
ويخـــتـــفي الشّـلْوُ ويُمـــحي الدمُ !!

- يا أرضُ ، ولّى عـــهـــدُ نوحٍ وزالْ
فَمَنْ لكِ اليــــومَ بطـوفـــــانه ؟
مــــسكينةٌ تطوينَ بحـــــرَ الليـــالْ
قـــــد عـــزّكِ المرسى بشطئـــانهِ !

- إلامَ تطوينَ عُبـــابَ السنينْ
شـــوقـــاً إلى فـــردوسكِ الضـــائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يـــا أرضُ بمـــا تحـــلـــمينْ
فـــاســتـــيـــقظي من حلمكِ الخـــادعِ !!

● وابقي كما أنتِ على موجهِ
تُمَزِّقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذفُكِ التيارُ في لجِّهِ
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

● سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةٍ تصغى إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

● يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرض وليلِ الهمومْ
تُمسونَ أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيْرى فوقَكم والنجوم !

● فابتهلي للّهِ ، واستغفري
وكفِّري عنكِ بنارِ الألمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يَدَيْهِ عَبَراتِ النَّدَمْ !!

✍ ✍ ✍

# المحتويات

| القصيدة | صفحة |
|---|---|



رقم الإيداع ٩٦/٥٧٤٩
I. S. B. N 977-01-4811-3



# مكتبة الأسرة




بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦








مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب